عبّاس العبّاسيّ الطّائيّ

قافلةُ الحُبِّ والمَوتِ

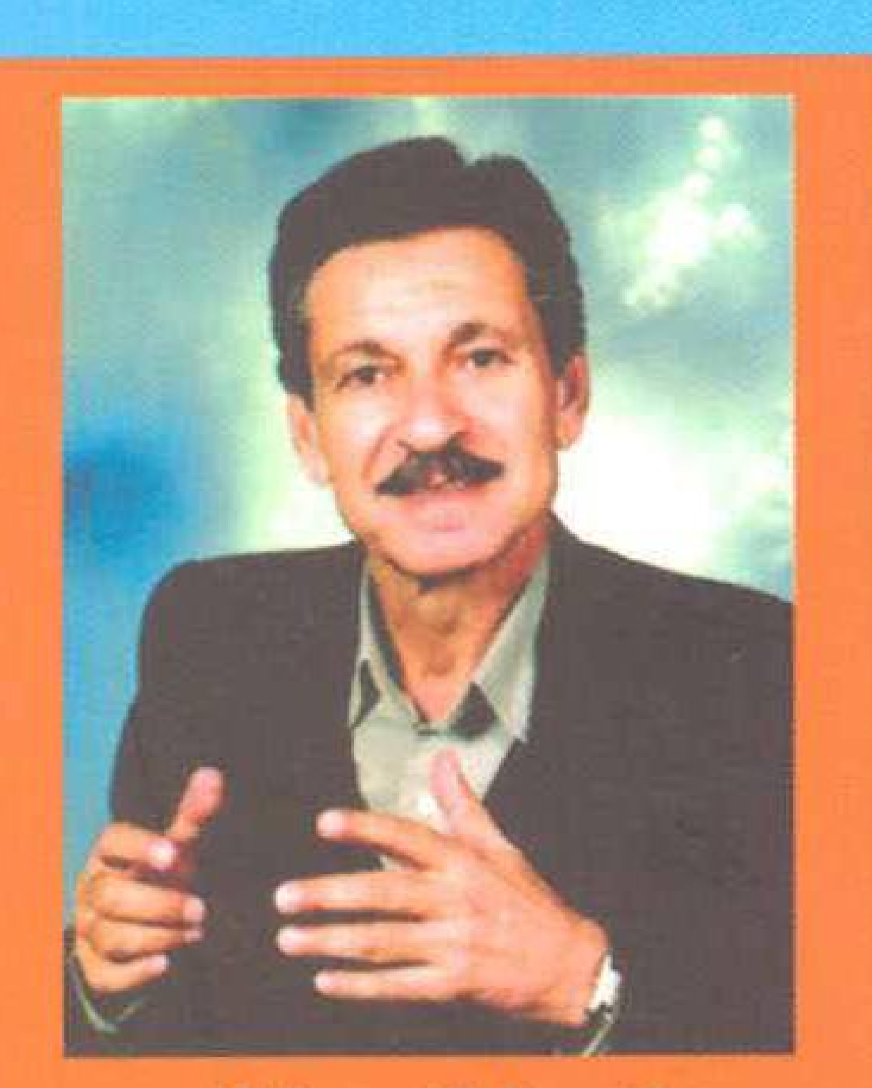
قافلة الحب والموت ، ملحمة مأساوية شعرية مع لمحة جغرافيةٍ تاريخية على مسرح أحداثها. عاش بعض أبطالها بيننا فسمعناها من أفواههم وأخذناها عن مذكراتهم . قافلة الحب والموت تجسيد عنيف للقهر والظلم والتعذيب،وشاهد حي على وحشية الإنسان وسبعيته وإجرامه.

قافلة الحب والموت ، ركب أشباح يسير، ورحي الموت تدور معه فاغرة فاها تلتهم الصغار والكبارشيوخاً وعجائزوحوامل وأطفالاً وشباباً.

في قافلة الموت لا فم يتحرك إلا فوهات البنادق ولاصوت يسمع إلا لسع السياط على المتون .

في قافلة الموت تنقلب مفاهيم الحياة - كما كان يريدها النظام الشاهنشاهي القمعي التعسفي- فيصبح الموت للمظلوم سعادةً ، والحياة جحيماً.

في قافلة الموت ،تموت الأجنة قبل الولادة وتهلك الأمهات قبل الولدان. في قافلة الموت تنتهك الحرمات، ويتحول الحبّ الى عذابٍ وهلاك فيرى الحبيب حبيبته تنهش لحمها الكلابُ فيصرخ الحب والايمان في وجه الجلّادين ، فتكون المأساة.



عبّاس العبّاسيّ الطائيّ

ولدعام ١٩٤٤ في ناحية البسيتين التابعة لقضاء الخفاجية غربي الأهواز. دخل معهد المعلمين عام ١٩٦٢ وبعدعامين من تخرّجه، نُقل إلى الأهواز، وفي عام ١٩٧٤، نال شهادة البكلريوس في الأدب العربي من جامعة تشمران(جندي سابور). وفي عام ١٩٧٦ ، سافر إلى مصر فالتحق بكلية الآداب في جامعة الأزهر لمواصلة تحصيله في المجستير، وبعد انتصار الثورة الاسلامية عام ١٩٧٩ أُخرج من مصر فعاد الي ايران وواصل دراساته العليا، فنال شهادة المجستير والدكتوراه، في اللّغة العربية وآدابها من مركز العلوم والبحوث الجامعية في طهران.وهو يعمل الآن أُستاذاً للادب العربي في جامعات طهران والاهواز.له مؤلفات في الشعر والادب في اللّغتين العربية و الفارسية، ذُكرت في مقدمة ديوانه"هذا هو الحب".



نشر شادكان

رقم التسلسل (شابک) ٩٦٤-٥٩١٧-٢٠-٤

قافلة الحب والموت

(مأساة شعرية)

تاليف الدكتور : عباس العباسي الطائي



طهران ۲۰۰۷

فهرس المحتوى

الفصل الأول:

الفصل الثاني

الفصل الثالث :

بیان شوق چه حاجت، که سوز آتش دل
توان شناخت ز سوزی که در سخن باشد

حافظ

پیش گفتار (مدخل)

کاوش درمیان خاکستر قدرتهای ستمگر که خود همچون آتش، خویشتن را نابود کرده‌اند، بی فایده نیست. در این خاکسترها، شراره های ریز و درشتی یافت می شود که می تواند سوژه های داغی برای به تصویر کشیدن باشد، و تاریخ ـ البته ـ در کمین چنین قدرتهایی است، تا آنها را در کام خود فرو برد، و پرده از جنایتهای آنها بر دارد، همانطور که پیروزی انقلاب شکوهمند اسلامی بندها را از دست و پای و زبان ملت ایران گشود تا گوشه هایی از ستمشاهی عصر پهلوی را بیان کند. و این منظومه از میان خاکستر آن عصر که پژواک تازیانه های سردار سپهش بر شانه های مردم مظلوم ما همچنان به گوش می رسد برخاسته است. و ما آنرا از زبان تنها قهرمان به جا مانده از آن کاروان مرگ شنیده وبه نظم کشیده ایم. آری این داستان شرح منظوم یکی از تبعیدهای بزرگ تاریخ است که ٨٠ سال پیش به دستور رضاخان‌پهلوی در مورد بیش از ١٥٠٠ نفر از خانوادهِ های عشایر خوزستان انجام گرفت. در این تبعید ١٣٠٠ کیلومتری که از شهر مرزی بستان در ٦٥ کیلومتری غرب اهواز تا تهران و سپس گرگان در شمال ایران ادامه داشت، کاروانی به اسارت

رفت که با پای پیاده و غالباً پابرهنه، بیش از نیمی از آنان در میان بیابانها و سنگلاخها و کوه و کمرها و یخبندانها جان باختند که بیشتر آنان از میان نوزادان و کودکان و پیران و زنان باردار بوده‌اند. و شگفت اینکه رژیم پهلوی اینگونه جنایتها را جزء افتخارات خود شمرده است. در این منظومه اشاره ای به موقعیت جغرافیایی و چکیده ای از وقایع تاریخی صحنه ها، در لمس بیشتر حقایق و رخدادها بی تاثیر نیست.

مؤلف

مقدمة الناشر

دار نشر شادگان - *والاصح الدورق للنشر*- منذ بداية عملها كان لها هاجس خاص، وهو أن تقوم بنشر بحوث ودراسات تخص منطقة الأهواز وخاصة تاريخها،، وقد استطاعت أن تقدم اعمالا شدت إليها جمهور القراء في المنطقة ومازالت طموحاتها تستميل رعاية أبناء هذا الاقليم.

وفي هذه المرة بدأت الدار محاولة أخري، ألا وهي الاقبال علي نشر دواوين شعرية للشعراء العرب في الاهواز، وتأمل أن تخرجها علي أحسن صورة وبشكل جميل وتصميم آنيق، والغرض من هذه المحاولة هو أمران: الأمر الأول، مساعدة الكتاب والشعراء في هذه المنطقة للتعبير عن عوالمهم ورؤاهم وتشجيعهم علي خلق آثار قيمة. والثاني هو العمل علي تعزيزمكانة الأدب العربي في المجتمع الأهوازي، وبالتالي خلق روافد شعرية أدبية فيه.

ويسر الدار أنها تقدم هذا الأثر القيم من شاعر غني عن التعريف بعد أن بدأت محاولتها بنشر ديوانه «هذا هو الحب»، آملة أن تستمر من خلال نشر أعمال الشعراء والأدباء الآخرين في هذا الاقليم العزيز.

المقدمة

إذا كانَ كُلّ ما تركه الإنسان من فنون، و علوم وعادات و تقاليد، يُسَمَّى تراثاً، فَماذا نُسمّي ما جادَ بهِ مِن روحهِ و نفسهِ و دمه؟، فماذا نسَمّي تلك البطولات التي سجلها الماضون عبر التاريخ؟ ماذا نسمي تلك المعارك التي خاضها الإنسان مِنْ أجل عزّتهِ و كرامتهِ و حرّيتهِ؟ و ماذا نسمي تلك الممارسات اللاإنسانية الإجراميّة التي واجهها الإنسان مدى القرون؟! و ماذا نُسَمِي تلك المجازر و الإبادات العرقية و الجماعية التي مارسها الطغاة في حق الشعوب المضطهدة؟ فهل نسمي هذا كُلَّهُ، تراثاً أيضا؟! و هل هذه التسمية جديرة بتلك البطولات و المفاخر، بل و حتى الإبادات و المجازر؟!

إقرأوا هذه الملحمة الشعرية المأساوية، لعلكم تجدون اسماً غير هذا الإسم الذي لايبدو كافياً!

أمامكم في حنايا هذه السطور، أحداث مريعة، يقشعرّ لها الجلد و تتقطع من أجلها القلوبُ، ويندى لها جبين التاريخ و الإنسانية.

فهذهِ المأساة تزيحُ الغبار عن حقائق رهيبة، و جرائم عظيمة و أحداثٍ جسيمة، جهلها التاريخ أوتجاهلها، فبقيت مطمورة مغمورة، كما طُمِرَ أبطالها تحت طبقات النسيان.

و لكي تزداد الصورة وضوحاً، ذكرنا بعض اللمحات الجغرافية و التأريخية، في مقدمة هذه الملحمة، و يبقى تأريخ هذه المنطقة يناشد من يسطّر وقائعه و أحداثه المتراكمة عبر آلاف السنين.

عباس العباسي الطائي

الهاتف المحمول: ٠٩١٢٢٣٨٦٨٧٦٢

البريد الكتروني Alabasi-taee@yahoo.com

الفصل الأول

مسرح الأحداث

(لمحات جغرافية وتأريخية)

سهل ميسان، أو دستميسان[1]

ألموقع الجغرافي: تقع منطقة دستميسان،على بعد ٥٥ كيلومتراً غربي الأهواز و يحِدّها من الشرق، مدينة الحميدية، و من الجنوب مدينة خرمشهر و من الشمال مدينة إيلام.

مساحتها: ٥٨٤٤كيلومتراً مربعاً، و ارتفاعها عن ٣سطح البحر ١٠ أمتار، تقع في ٣١ درجه و٣٣

[1]– قام النظام البهلوي في المنتصف الأول من القرن العشرين بتغيير كثير من أسماء المدن في الأهواز و منها دستميسان الذي سماه دشت ميشان وفي عصر الجمهورية الاسلاميه اطلق عليه اسم دشت آزادكان.

دقيقةً في العرض الشمإلى و ٤٨ درجه و ١٠ دقيقه في الطول الشرقي.

مرتفعاتها: تمتد في شمال سهل ميان سلسلة مرتفعات و هي امتدادٌ لجبال حِمْرين في العراق. أهم هذه المرتفعات في سهل ميسان جبيل «الله اكبر» الذي وقعت فيه معركة العشائر العربية الأهوازية مع القوات البريطانية و سببت شهرتَه. و جبيل «مشداخ»، و هذه المرتفعات لايتجاوز ارتفاعها ١٥٠ متراً .

مُناخها: هواؤها جافٌ و مرتفع الحرارة في أكثر شهور السنة، معدل المطر فيها سنوياً ١٥٠mm.

نهرها: النهر الوحيد في سهل ميسان هو الكرخة، و كان هذاالاسم يطلق على مدينةٍ في عصر العيلاميين أيضاً. و في اليونانية القديمة كان اسمه "كواسبس".

يخرج هذاالنهر مِن جبال "ألْوند" فيمر على منطقة لورستان فيسمى "سيمرة" و من ثم يمرٌ على الحميديَّة فتنشعب منه

شعبة تسمى الكرخة العمياء لِتسقي الحويزة. و عند دخوله مدينة الحفاجية تتشعب منه شعبة باسم "المالكية".
أما نهرالكرخة الأصلي فيستمر غرباً ليسقي مدينة البسيتين و قراها و ينحدر غرباً حتى يصب في الهور العظيم.

الآثار القديمة:

عند ما يُترك الشعبُ في ذمَّةِ الله، ولايُعطى فرصة الحياة و لايُذكَرُ إلاّ عند ما يُرادُ به القمعُ و إنزال العقوباتِ الصارمة، و التشريد و التبعيد و الإستباحة، فمن المضحك أن نتوقع الرعاية و العناية في أمورٍ أخرى كحفظ الآثار القديمة و الإهتمام بها.!!! و رغم ذلك يوجَد بعضُ الآثار و الخرائب التي تدل على حضارةٍ ضربت جذورها في أعماق التاريخ في هذه الأرض، لكنه من الصعب تحديد عصرها و تأريخها.
فالآثار التي وجدت في شمال سهل ميسان و جنوبه، هي:

أولاً: الآثار الجنوبية:

١- أمُّ الدّجيج: و هي آثار قصور و حوانيت تقع على بعد ١١فرسخاً جنوب الحويزة و هي خمس خرائب في الصحراء المسماة، "شلوى".
٢- قصر الحويزه: و هو آثار قلعة من الآجر و الجندل (الأحجار)، و قد تكون من آثار الحكم المشعشعي في القرون الإسلامية الوسطى.
٣- يشن الحمارة و الشرتاق: آثار أبنية و مسقفات تقع بين الحويزة و الأهواز، لم يبق منها إلا أحجارٌ مكعبة منحوتة تدل على أنها من آثار الحضارة الميسانية قبل ميلاد المسيح، استخدمت في بناء هذه الأبنية مجدداً قبل ٣٠٠ عاماً، تزن، كلّ واحدةٍ من هذه الأحجار ١٠٠ كيلو غراماً تقريباً.

يقول المقدسي في الصفحة ٤٠٧ من كتابه: مررت بابنيةٍ عجيبه قيل إنها كانت تمتد من نهر دجلة حتى نهر كارون (وسط مدينة الاهواز) و قيل إن صاحب

الزنج هدمها عند احتلاله المنطقة. و مازال الناس يلتقطون منها بعض المسكوكات و الأواني.

٤- قصر بصري: و هومكون من آثار قلعتين تقعان بين الحويزه و البصرة لم يبق منهما إلا تلّ من التراب و القرميد.

٥- الحدّاديّات: تلّ رمادي في جنوب قصر بصري يدل على آثار قريةٍ كبيرة.

ثانياً: الآثار الشمالية:

و توجد في نواحي موسيان و الفكةّ و أم الدبس بعض الآثار القديمة و هي:

١- أثار أم الدبس: و هي آثار مقابر و إِبنية و قناة مسقفة قديمة و سوق قديم، شيدت جميعها بالجندل، و مازال أَهل القرى المجاورة يستخرجون أحجارها من باطن الأرض.

٢- تل الطُمغچي: و هو مدفون تحت التراب و القسم الأعلى منه ظاهر للعيان.

٣- قلعه محوز: و هي قريبةً من نهر الدويريج، تدل على وجود قلعه و أُبنية قديمة.

٤- أَبوغُوير: فيه آثار قلعة و بناء يمكن أن يرجع تاريخه إلى ثمانية قرون.

٥- الأُخيضر: آثار أبنية تقرب من منطقة دوسلگ.

٦- اللومية و الثميدة: موقعان فيهما آثار أبنيةٍ قديمة.

٧- قبور الأبطال: آثار قبورٍ عرفت بهذا الإسم لايُعرف عنها شيئٌ، و هي قريبة من الفكة.

٨- قلعة سيد سري: آثار قلعة غيرمعروفة.

٩- محلة (بتك) فيها آثار قلعةٍ قديمة.

الحالة الإجتماعية:

سكان سهل ميسان، جميعهم من القبائل العربية و منهم من كانوا يعيشون على هذه الأرض كقبيلة بني العمّ و طيء و بني حنظلة و غيرهم، قبل الإسلام، و منهم من التحق بجذوره فيها أونزح إليها بعد الفتح الاسلامي و هذه القبائل كانت و ماتزال تعيش في مدنها و قراها.

الحالة الإقتصادية:

سهل ميسان أرض رزاعية و معظم الناس فيها كانوا يمتهنون الزراعة و هي المهنة الأصلية لهم. و الرِّز و القمح هما الإنتاج الأساسي للزراعة فيها.

كذلك زراعة النخيل و أثماره من أهم المحاصيل الزراعية لهم. هذا في الماضي أما آلان؛ فقد شتّتت الناسَ الحربُ العراقية الايرانية فنزحوا نحو المدن في داخل المنطقة و خارجها و هم في حالة تطور على كثير من المستويات.

أُما صيد الأسماك و الطيور فيشكل قسماً هاماً من الإرتزاق من الطبيعة في هذه الارض الخصبة.

التجارة: أما الذين يسكنون المدن، فمعظمهم يمارسون التجارة.

الثقافة و اللغة:

اللغة العامة لاهل سهل ميسان هي العربية، أما اللغة الرسمية الحكومية فهي الفارسية.

و الثقافة في سهل ميسان موروثةٌ عن الماضي، فهم يحتفظون بعاداتهم و تقاليدهم العربية. و من شيمهم، الكرم و الإحتفاء بالضيف، و الوفاء بالعهد و حماية الجار و إكرام الغريب.

الشعر:

صدق القائل: "الشعر ديوان العرب" فهولاء الناس شديدو النزعة للشعر و لا سيما الشعبي منه، و في هذا النوع ظهر بينهم شعراء لايشق لهم غبار لاسيما في "الأبوذية" و هو نوعٌ من الشعر يتكون من أربعة اشطر. كما أنهم جادوا في القصيد و أبدعوا فيه، و هم في هذين النوعين يضاهون شعراء العراق.

مدن سهل ميسان:

يقول عبدالله الجويبراوي في كتابه (تاريخ ميسان و عشائرالعمارة): "ميسان بلدٌ جنوبي بابل و كانَ تحت حماية السلوقيين (٢٢٣ ق م – ١٨٧ ق م) و كانت عاصمته الكرخة، و كانَ مركزاً تجارياً و كان ساكنوها عَرَباً و الخط فيها آراميّاً و كان يحدها من الشرق نهر كارون إلى دجلة العراق"[١]

و يقول، ياقوت الحموي في معجم البلدان: "دستميسان" كورة جليلة بين واسط و البصرة و الأهواز و هي إلى الأهواز أقرب، قصبتها (بسامتي) و ليست ميسان، لكنها متصلة بها..."[٢]

و قيل إنها كانت تسمى نهرتيري، كما يقول ياقوت في معجمه "... بلدٌ من نواحي الأهواز...، قال جرير:

١- ص ٢٥- ٥٥

٢- ج ٢، ص ٤٥٥.

سيروا بني العم، و الأهواز منزلكم   و نهرتيرى و لم تعرفكم العربُ"[1]

و يبدو أن مدينة الكرخة كانت هي نهرتيرى الذي يقول عنه لسترنج: "كانت مدينة كبيرة في سنة ٩٠/ م و فيها تضرب المسكوكات، و تحاك أنواع الأقمشة و لها شهرة عالميّة، و فيها بعض الآثار القديمة"[2]

و من مدنها القديمة، بصنا، و قرقوب، و بيروت، و الطيب، و مذار.

مدن سهل ميسان في القرن العشرين:

١- مدينة سوسنجرد و هي مركز هذه المنطقة. و فيها أسواق و حديقة كبيرة، و فيها فرع لجامعة آزاد الإسلامية و فرع لجامعة نور الحكومية. تقع سوسنجرد على بعد ٥٥ كيلومتراً غربي الأهواز.

٢- مدينة بستان و هي ثاني أكبر مدينة في سهل ميسان، و تقع غرب سوسنجرد.

١- ج ٥، ص ٣١٩.

٢- بلدان الخلافة الشرقيه،لسترنج ، ص ٢٦٠.

٣- مدينة الهويزه: هذه المدينة ازدهرت في عصر المشعشعيين، و الآن ثالث مدينة في سهل ميسان على مسافة ١٥ كيلومتراً جنوبي سوسنجرد.

٤- مدينة الرُّفَيِّع التي نزح معظم سكانها إثر الحرب العراقية الايرانية.

و هناك أحياء و قرى صغيرة و كبيرة منتشرة في سهل ميسان.

ألفصل الثاني

لمحة تاريخية

أولاً-   التاريخ القديم:

هذه البقعة من الأرض تحمل على منكبيها سِفْراً تاريخياً ضخماً بحجم آلاف السنين . وجذور تاريخها يضرب في عمق الألفية الثالثة قبل الميلاد وكانت مسرحاً للبطولات ومقامرات عمالقة التاريخ ماقبل الإسلام .

ونحن نشير الي هذه الأحداث وعصورها باختصار ليعلم القا رئ العزيزعظمة هذه الأرض وأنه لايمكن لمثلها بهذا الثقل التاريخي أن تبقي بلا تاريخ مدون يحمل بين دفتيه ماتمخضّت به من أحداث وثقافات وآداب .

١ - الدولة العيلامية :

إكتشف علماء الآثار-أخيرا- مكتبة سومرية فيها ستون ألفا من ألواح الطين في مدينة"نيبور" الواقعة علي بعد ٩٥ ميلاً من بغداد ذُكر فيها أنَّ النبي نوح

كان يعيش على مقربة من الأهواز.... وبعد الطوفان جاء أحد أحفاد نوح و هو عيلام بن سام بن نوح إلي الأهواز فسكنها فسمّيت بإسمه وتكوّنت دولة العيلاميين على هذه الأرض وقد امتدّ سلطانها إلي بوشهر جنوباً وحتي قصرشيرين غرباً وقد وجدت آثارها المعدنية والحجرية والقرميدية في أحشاء هذه المنطقة

٢-.**دولة الأكدّيين** : إجتاح الأكديون أُرض عيلام وسيطروا عليها في الألفية الثالثة ق.م

٣-السّومريون : بسط السومريون سلطانهم علي هذه الأرض في منتصف الألفية الثالثة ق.م .

٤-.وفي سنة ٧٠٠ ق.م استولي قوم بارث(بارسوماش) علي إحدي ولايات عيلام . وكان العيلاميون قد استعادوا أرضهم في القرن ١٤ ق.م

٥- وهاجم الآشوريون أرض عيلام بقيادة الملك سناحريب . وفي سنة٦٤٠ ق.م أجهز آشور بانيبال

علي ما تبقى من ملك العيلاميين وأنهى حكمهم الذي طا ل أكثر من ٢٤٠٠ عام.

٦-.واستولي قوم ماد الآريون علي أرض عيلام وأقاموا علي أنقاض مدينتهم حضارة أخري كما كان يفعل الفاتحون الذين سبقوهم.

ومن آثار العيلاميين المدينة التاريخية المعروفة «شغار زنبيل» الواقعة علي بعد ٣٠ كيلو متراً جنوب شرقي مدينة السوس و تعتبرها منظمة اليونسكوالعالميه الفقره ٥٧ من التراث العالمي.

٧-كما فتح الأخمينيون (الهاخامنش) أرض عيلام وجعل الملک قوروش السوس عاصمة له٥٣٨ ق.م.

٨-.وفي القرن الرابع قبل الميلاد استولي الإسكندر المقدوني عليها وقد استمر خلفاؤه السلوقيون يحكمونها حتي عام ١٣٠ق.م.

٩-.ثم جاء الأشكانيون و قضوا علي السلوقيين وجعلوها ضمن متصرفاتهم.

١٠-.أما الساسانيون فقد استمروا في الحكم عليها بعد الأشكان حتي القرن ١٧ الهجري الذي تمّ فيه الفتح الإسلامي وطوي تلک الصفحات الدامية ليفتح صفحة جديدة علي هذه الأرض.

ثانياً- العصر الإسلامي:

١- عصر الولاية الإسلامية:

الف- في السنه ١٩ من الهجره أتم هاشم بن عتبه فتح جميع مناطق الأهواز.

ب- كا نت الأهواز وتوابعها من سنة ٢٩ الي ٣٥ من الهجرة تحت ولاية عبدالله بن عامر والي عثمان.

ج - وفي عصر خلافة الإمام علي بن أبي طالب (ع) كان عبدالله بن عباس والياً علي البصره وكان عبدالله قد عين زيادبن أبيه حاكماً علي الأهواز وفارس.

د - عصر بني أمية:

في عصر بني أمية كان حاكم الأهواز يعينه والي البصرة.

ومن أهم أحداث هذا العصر قيام الأزارقة الخوارج الذين قمعهم الحجاج بن يوسف الثقفي بقسوة ووحشية سنة ٧٨ هجرية.

هـ - العصر العباسي :

في العصر العباسي الذي بدأ سنة ١٣٢ من الهجرة وانتهي بهجوم المغول سنة ٦٥٦ من الهجرة كانت الولاية علي الأهواز حتي منتصف القرن الرابع للهجرة يعينها والي الخليفة في البصرة.

ومن أهم وقائع هذا العصر في هذه المنطقة :

- ثورة الزنج التي احتل الثوار بقيادة علي بن محمدبن عيسي بن زيد المشهور بصاحب الزنج سنة ٢٤٩ خلالها الأهواز ومدنها وأحرقوا مركز الأهواز.

و - عصر الدويلات:

ضعف الدولة العباسية:

في أواسط القرن الثالث الهجري ظهر ضعف القوة المركزية فقامت الحركات المناهضة لها وأعلنت عن تشكيل إمارات ودويلات بعضها موالية للخلافة وأخرى

رفعت رايات إستقلالها نشير إلي ما كان لبعضها من آثار في هذا الإقليم:

١- **الدولةالصفّارية** : أعلن يعقوب بن الليث الصفّار الإستقلال في إقليم سيستان ومن ثم زحف على خوزستان فاحتلّه عام(٢٦٠)هجرية ثم توعّد الخليفة العباسي المعتمد باحتلال بغداد ومن أقاويله: " قل للخليفة :

إني الآن مريض فإن متّ فقد استرحنا نحن الإثنين من بعضنا وإن عشت فالسيف بيننا".

لكنّ يعقوب مات في العاشر من شوال سنة٢٥٦من الهجرة.

وجاء بعده أخوه عمروبن الليث وقد أسر و في حربه مع السامانيين و أرسل إلى الخليفة العباسي المعتضد فمات في سجنه عام ٢٨٨ من الهجره وعاد اقليم الاهواز تحت ولاية الخلافة الإسلامية.

٢- **آل بــــويه (الديالمه)** : كان بو يه بن فنا خسرو صائد سمک فدخل في خدمة الزياريين ونال حظوة ثم تقدم أبناؤه الثلاثة علي وحسن وأحمد وكوّنوا قوة أصبحت فيما

بعد من أكبر الدول الفارسية في العصر الإسلامي . وقد إستطاع أحمد الملقّب بمعزّ الدولة ان يحتلّ بغداد ويعزل الخليفة المستكفي بعد أن سَمِلَ عينيه ثم نصب أخاه المطيع خليفة،وكانت سياسة آل بويه تري أَنْ تُبقيَ الخلافة لتحتفظ بالرأي العام العربي والإسلامي.

ومن الطبيعي أن تخضع الأهواز لآل بويه طيلة حكمهم ما يزيد علي القرن(٣٢٦-٤٣٧) وذلک رغم المعارک التي خاضها ولاة البصرة المخوّلين عليها من قبل الخلافة العباسية.

٣ – وفي أواخر حكم السلاجقة عاد الإقليم الذي تأرجح بين حكم الخلافة الإسلامية و الحكومات غيرالعربية،تحت حكم الخلافة العباسية(٦٢١).

٤ – **العصر المغولي** : جعل المغول الذين احتلّوا بغداد سنة ٦٥٦ هجرية خوزستان أحد مراكز الإمبراطورية التي أقاموها بعد سقوط الدولة العباسية لكن حكومة بغداد ضمّتها إليها سنة ٦٧٢ من الهجرة كما كانت في العهد العباسي.

وفي العصر المغولي توالت عدّة حكومات من أسر و قبائل كانت تنتمي للمغول منها :

الف-**آل مظفر**: كان آل مظفر حكاماً على مدينة "يَزْدَ" من قبل المغول لكنّهم رفعوا علم التّمرد ضدّهم وأقاموا دولة مستقلة في كرمان وشيراز وضموا إليها أجزاء من الأهواز، ٧٩٥ هجرية.

ب – **أل تيمور**– تيمور كان مغولي الأصل و أُمّه من أعقاب "جنكيز" ولم يكن أقلَّ من جدّه سطوة وقسوة، إحتل العراق والأهواز ومدن إيران كلّها وعاث فيها قتلاً وفساداً (٧٣٦-٨٠٧).

ج –**الجلائريّون**: وحين تمكّن حسن الجلائري و هو مغولي أيضاًمن تأسيس الدولة الجلائرية في العراق عام ٧٣٨/ هـ ، إستولى الجلائريون على خوزستان و بقي تحت حكمهم حتى ظهور"تيمور لنك" الفاتح التتري الجديد، الذي استولى على بلاد كثيرة من العالم الإسلامي، كفارس و العراق و

آذربيجان و أفغانستان، ولم يَستثنِ هذا الإقليم بالطبع فاحتلّه سنة ٧٧١ [1] هـ.

و بعد موت تيمور لنك في سنة ٨٠٨ هـ عاد السلطان الجلائري أحمدبن أُويس لحكم العراق بعد حروب طاحنة، و في سنة[2] ٨١٣ هـ وقعت حروب ضارية بين الجلائريين، و التركما نيين الذين كانوا يحكمون آذربيجان، و قد انتهت بقتل السلطان الجلائري أحمدبنأويس، وانقراض الدولة الجلائرية عام ٨١٤/ هـ.

الدولة التركمانية: و بعد حروب طاحنة بين التركمان فيما بينهم انتصر الآقوينلو(الخَروف الأبيض)على القره قوينلو (الخروف الأسود)، و بقيت الدولة التركمانية في العراق و ايران حتى قيام الدولة الصفوية سنة ٩١٤/ هـ و قد شمل الإحتلال خوزستان أيضاً.

و نستخلص مِن كل هذا، أن العالم الإسلامي- العربي، كانت تعجّ فيه العواصف و القلاقل و الإضطرابات، و كان

١ - التحفة البنهانية ص ٢٥٢ ٣- المصدر نفسه ص ٢٥٣

٢ - مختصر تاريخ البصرة ص ١٢٠

مسرحاً لمقامرات كلّ من هبَّ و دبَّ مِنْ مَرَدَة التاريخ و سفّاكي الدماء الأجانب، مِما جعل الشاعرَ العربي الكبير أباالطيب المتنبي يثور غيرة و حمية على مجد العروبة و الإسلام الضائع فيقول:

و إنما الناس بالملوك و ما تفلح عُربٌ ملوكها عجمُ

لا أدب عندَهُم و لاحَسَبٌ ولا عهودٌ لهم ولا ذِمَمُ

و عند ما يري ضياع الإنسان العربي علي الأرض، يصرخ قائلاً:

ولكنّ الفتى العربيّ فيها غريبُ الوجهِ واليدِ واللسانِ

أما الأهواز، فكانت ملتقىً لهذه الموجات والتيارات العارمة، و ذلك لِماتتمتع به من موقع جغرافي ستراتيجي، إذكانت تربط شرق الإمبراطورية الإسلامية بغربها. و مع كل تلك العواصف و التيارات، و ممارسات القتل و التنكيل و التهجير، التي مُورسَت في حقّ أهلها طيلةَ التاريخ منذ القرن الرابع الميلادي، كالمذابح التي ارتكبها الملك الساساني سابور الثاني (ذوالأكتاف)، ضد القبائل العربية التي كانت تسكن الإقليم أو النازحة إليه آنذاك، كقبائل

بكربن وائل، و حنظلة، و تميم، والأزد، و عبدالقيس، و تغلب و كليب، و قصة تمزيق سابور أكتافَ بعضهم و تعليقهم منها و التي سببت شهرة (ذوالأكتاف) له، بقيت الأهواز متمسكة بهويتها و حضارتها.

و قد حفلت كتب التاريخ و التراجم بأخبار العديد من العلماء والأدبا من أبناءها الذين أسهموا فيمجالات الفكروالإبداع و التأليف، أمثال آل بختيشوع، و عيسي بن صهار، و عيسي بن شهلاقا، و يوحنا بن ما سويه و هولاء كانوا يقيمون في بغداد و كانوا يتولون قياده الطب و البحوث العلمية في جنديسابور.[١]

كما حفل الإقليم بأسماء لامعة من العرب في العلم و الدين والأدب و نسبوا الى مدنها و عرفوا، بالأهوازي، والدورقي، والحويزي و الخفاجي والأرجاني ، و التستري و العسكري (منسوب الى عسكر مُكْرَم) والسوسي

٢- الفهرست، لابن النديم و القفطي: تاريخ العلماء، و دائره المعارف الاسلاميه، ماده جنديسابور، بقلم sayili,ci.Hvart

والصيمري و... و قدوردت تراجمهم في كتب الألقـاب و الأنساب[1].

- **حكام الطوائف:** و خلال الحكم المغولي و منذ سنة ٨٢٧/ هـ كانت القبائل العربية الأهوازية، هيالتي تحكم الإقليم في أجزاء متفرقة. فقد كان المرعشيون يحكمون الحويزة و أطرافها، و بنوسالة و هم من ربيعة يقيمون سلطتهم على نهر هاشم، و استقرّبنوطرف و هم من قبيلة طيء، حوالي الحويزة و امتد حكمهم الى الخفاجية . و توزعت السلطة في أنحاء الإقليم بين قبائل أخرى، كبني عبادة و بني ليث و بني حطيط. و في ذلك الحين كانت بعض المدن الرئيسة لهذا الإقليم ترزح تحت حكم الإحتلال التيموري.

عصرالإمارات:

العصر المشعشعي: و ما إن انتصف القرن التاسع الهجري حتى ظهرسيد من أحفاد موسى الكاظم(ع) هوالسيد محمدبن

٢- الانساب، للسمعاني، ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب.

سيد فلاح المشعشعي، و كان ذا إطلاع على علوم عصره، إستطاع أن ينال به و بذكائه الخارق شهرة واسـعة يـبن القبائل العربية، و جعل مدينة الحويزة قاعدة لعملياته بعد أن طهّرها من النفوذ الأ جني التيموري و التفت حوله القبائـل فوحّدها تحت زعامة قوية و في تلـك المرحلـة، حـاول التركمان الآق قوينلوضرب الدولة، فاستطاعوا أن يحتلـوا الحويزة، و لكن سرعان ما استعاد المشعشعيون قاعـدتهم التي حصّنوها و بنوا فيها القلاع.[1]

و امتدت سلطة المشعشعيين فيالقـرن التاسـع الهجـري، فشملت اكثر توابـع شـيراز، و عبـادان و الـدورق ، والسواحل حتى ميناء بندرعباس، ثم كهكيلوية، و دهدشت، ورامهرمز و شوشتر والبختيارية و لورسـتان و بيـات و بشتكوه و كرمنشاه و سيمرا (الصيمره) و بهبهان (ارجان)[2]

١ - تاريخ المشعشيين، جاسم شبرص ٨٤.

٢ - المصدر نفسه ص ٩٢

- **الصفويون و العثمانيون**: و مع مطلع القرن العاشر الهجري (القرن١٦/ م) . ظهرت دولتان كبيرتان هما الدولة الصفوية والدولة العثمانية.

استولت الدولة الصفوية على ايران و فرضت الهيمنة الفارسية على جميع شعوبها، و تمكّن العثمانيون من الإستيلاء على معظم الأقطار العربية، و اشتعلت نار المنازعات بين الدولتين الكبريين، إذ نازعت الدولة العثمانيه، الفرس على سلطتهم على العراق حتى استولت عليه سنة ٩١٤/ هـ ، و كانت الدولة المشعشعية تعاني من ضغوط هاتين الدولتين الجديدتين.

و كانت الدولة الفارسية مصرّة على القضاء على الدولة المشعشعية، لذا بعد أن كانت محاولات الشاه اسماعيل الصفوي لم تحقق ما أراد لجأ إلى التظاهر بالودالتقليدي، و استطاع اغتيال بعض الأمراء العرب في الإقليهم أثناءَ دعوة أعدّها لهم. و بعد تلك المحاولات استولى الشاه اسماعيل على مدينة الشوش، و مدينة شوشتر، و من ثم احتل سائر أراضي الدولة المشعشعية بما فيها الحويزة.

و بعد أن رفض الشعب ذلك الإحتلال و ثار ضدّه اضطر الشاه اسماعيل الى سحب قواتِه و ولّى على الإقليم، السيد فلاح بن السيد محسن المشعشعي .

- **هجوم العثمانيين** : أما الدولة العثمانية فلم يهدأ لها بال، حتى قامت هيالأخرى بهجوم علىالحويزة و ضواحيها لكنها لم تستطع تحقيق الهدف.

و كان وقوع دولة المشعشعيين بين قوتين معاديتين، أضعفها، فتقلصت سيطرتها على أجزاء كثيرة من الإقليم، فسببت الإضطرابات في نواحي متفرقة من الإقليم و أعلن بعض القبائل استقلالهم و سنذكر ذلك في قسم عصرالإمارات:

أما الدولة المشعشعية فقد استطاعت أن تستعيد قدرتها وسيادتها على جميع اراضي الإقليم. و في عصرالدولة المشعشعية، إز دهرت العلوم و الآداب، إذ كان الأمراء، هم أهل أدب و فيهم فحول من الشّعراء، كالسيد علي بن السيد خلف الذي عرف بمؤلفاته المهمة، في الحديث و التفسير و التصوّف، فضلاً عما عرف عنه شاعراً كبيراً حماسياً

ملتزماً.و منهم عبدالله بن فرج الله و أحمد بن خلف، و أحمد القاضي و محمدبن فلاح، و أحمد بـن مطلـب، و بركـة بن‌عبدالله و غيرهم.

حكام القبائل: لقد أسلفنا، أن الدولة المشعـشعية، ضـعفت، إبّان تضخم الدولتين الإيرانية و العثمانيـة و ضـغوطهما عليها، و ثارت بعض الإضطرابات بين القبائل خلال القرن العاشر الهجري. من أهم هذه، القبائل:

قبيلة بني‌لام: و قدسيطروا على شوشتر و مدوا نفوذهم إلى دسفول (ذزفول) و إلى الحويزة أحياناً.

قبيلة نيس: الذين كانوا قد تغلّبوا على مدينة الحويزة فـي بعض الأحيان.

و بنوتميم و الغزّيون :في شادكان. و رغم تلك المحاولات، و انشغال الدولة المشعشعية بتوحيد السلطة، لم تخضع هذه الأخيرة، للرضوخ أمام التيارات المتواصلة من الـداخل و الخارج ضدها،لكنها في أواخر القرن السابع عـشرالميلادي (الحادي عشر الهجري) و بعد انتقـال النـشاط التجـاري والسياسي إلى البحر، فقدت هذه الدولة التي لم تكن تمارس

سلطة البحر و نشاطاته ، قـدرتها و انحـسرت تمامـا و ظهرت على ساحل البحر سلطات عربية بحرية هي :

إمارة كعب الفلاحية : و كانت أقوى سلطة عربيـة، و قـد بدأت نشاطها المكثّف العسكري و السياسي مما جعلها تتميز كأقوى سلطة في المنطقة تصدّت لنادر شاه ملك ايران الذي أراد القضاء عليها .

وكان حاكمها القوي الشيخ سلمان بن سلطان الـذي تـولّى زعامتهاسنة ١١٥٠ هـ_ ١٧٣٧ م قد استطاع مـن توسـيع رقعة حكمه فامتدّت إلى الشمال باتّجاه نهر الجراحـي ، و أصبحت شادكان من مراكز السلطة العربية .

و من أهم الأحداث التي شهدتها المنطقة في عصرهم هجوم كريم خان الزندي الحاكم الإيرانـي. و الهجـوم العثمـاني الإنجليزي المشترك عام ١١٧٥ هـ الذي صدته القـوات الكعبيّة .

وظلت هذه القوة تسيطر على المناطق الستراتيجية المطلّـه على البحر

و هذه المكانة التي تمتّعت بها إمارة كعب جعلتها هدفاً للعدوان ، لاسيّماالعدوان الإنجليزي العثماني، إذكانت لهذه الإمارة عشر سفن حربية كبيرة ، و سبعون سيفنة صغيرة مما فرض تفوقها في المنطقة .

و حتى في فقدان قائدها الصّلب الشيخ سلمان الذي توفي سنه ١٧٦٨ / بقيت في عهد خلفائه ،قوية قادرة على التصدي لمن يريدبها الشر و قد حافظت على قوّتها أواخر القرن (لتاسع عشر الميلادي)[1]

إمارة كعب آلبوكاسب : من عشيرة المحيسن و هي أحد أفخاذ قبيلة كعب في مدينة المحمرة (خرمشهر) و توابعها و التي تأسست في بداية القرن التاسع عشر الميلادي و انقرضت عام ١٩٢٥ / م على يد رضاشاه البهلوي و كان قد أسسها الشيخ غيث بن غضبان.و من أبرزرجالها ثامربن غضبان ١٢٤٤ هـ والحاج جابربن مرداو ، ١٢٩٩/ هـ، والشيخ مزعل بن جابر ١٣١٥ /هـ، و الشيخ خزعل بن جابر ١٣١٥ /هـ - ٩٣٥/م .

[1] - تاريخ إمارة كعب ص ١٣

دستميسان في القرن العشرين :

كان القرن العشرون منذ مطلعه مطلع أحداثٍ هائلةٍ و مصائب جَمّة على العالم.

و إقليم الأهواز ليس مستثنىً من العالم، غير أن ما كان يحدثُ في العالم ينتشر عبر الوسائط الإعلامية، و ما كان يحدث في الأهواز لايعلم به إلا الذين تقع عليهم الأحداث و الضالعين بها. و من تلك الأحداث التي وقعت في الأهواز و نواحيها و منها الخفاجية مايلي:

١- **انتفاضة الجمهور**: كان الشيخ خزعل بن جابر، في مطلع القرن العشرين، حاكماً مطلقاً على الأهواز و نواحيها، لكن قبيلة بنيطرف القاطنة أرض الخفاجية (غرب الأهواز) لم تخضع لحكم الشيخ خزعل خضوعاً تاماً و لذلك كانت الخلافات و الصدامات بينهما على قدمٍ و ساقٍ. و في سنة ١٩٠٨/ م قام ستةٌ من كبار العشائر التابعة لشيوخ بني طُرف (خمسة شيوخ، من آل سعيد و آل صياح،

كانوا على رأس جميع العشائر التي تتكون منها قبيلة بني طرف)، بالقيام ضد الشيخ خزعل بعد أن قاموا بالإحتجاج على حكم الشيخ مطلب بن الحاج سبهان و هومن آل سعيد فعزلوه بمساعدة الشيخ خزعل.**وأخيراً** وقعت معركة بين الثوار الستة و أتباعهم ضد قوات الشيخ خزعل، أسفرت عن جلاء قوات الشيخ من منطقة الخفاجية و نواحيها (١٩١٠ / م).

٢- إحتلال القوات البريطانية للأهواز:

ما إن مضى على الحرب الكَونِيَّة الأولى، عامٌ واحدٌ حتى دخلت القوات البريطانية في شهر آذار سنة ١٩١٥ / م الأراضي الأهوازية فاحتلّت مدينتي عبادان و المحمرة، و اجتاحت ضواحي الأهواز، و كانت تستهدف من وراء الإجتياح ، فرض سيطرتها على العراق و اجتثاث النفوذ العثماني فيها. أما القوات العثمانية فقد قامت بالتصدي للقوات البريطانية في أرض الأهواز، بعد أن، طلبت من المرجع

الشيعي السيد كاظم اليزدي أن يعلن عن رأيه في احتلال الإنجليز للأراضي الإسلامية، فأصدر السيد اليزدي فتوى الجهاد و أرسل إبنه الأكبر السيد محمد مع جمعٍ من علماء الشيعة و ضباطٍ من الجيش العثماني إلى رؤساء قبيلة بني طرف في الخفاجية و بعض رؤساء القبائل في الأهواز. فهبّت العشائر العربية للجهاد و الدفاع عن حريم الإسلام. دون أن تكون لهم رؤية سياسية أو تحليل عما كان يجري وراء الكواليس بين الإنجليز و الشيخ خزعل لدعم الشيخ في الحصول على الإستقلال، من جهةٍ، و عما كان يجري بين الإنجليز و الحكومة المركزية الإيرانية من جهةٍ أخرى في سبيل إخضاع الشيخ خزعل للحكومة المركزية أو القضاء عليه ليكون لبريطانيا كل ماتريد و تشتهي على مائدةٍ واحدةٍ،و أخيراً كان لها ما أرادت بعد أن دعمت الشاه رضا في إلقاء القبض على الشيخ خزعل سنة ١٩٢٥ / م.

أما القوات البريطانية فقد واجهت مقاومةً عنيفة من مليشيا العشائر الذين كانوا يحاربون ببعض السلاح الخفيف و السيوف و العصي، و كانت الجولة الأولى قد تمّت بهزيمة القوات البريطانية، فالمقاتلون العرب قد أبلوا بلاءاً حسناً في هذه المعركة ألـلا متعادلة، فالإنجليز كانوا يفوقون العشائر بالعدة و العدد و جنودهم المدربون تحميهم مدافع كانت تحصد المقاتلين العرب. هذه المدافع التي وقع تسعة منها في أيدي العشائر. مما جعل **ولسون** قائدالقوات البريطانية يعترف بشجاعة هؤلاء المقاتلين العرب: يقول في كتابه، بلاد ما بين النهرين ص ٧٠: "ولدى التأمل في هذه المشاغلة مع الأعراب و في غيرها يجب ألا يغرب عن الذهن أن لهم مقدرةً على الحركة، غيرمعتادة، فما إن يكون هؤلاء القوم على صهوات جيادهم إلا يصبحوا سباقين مجلين في الميدان لاتباريهم خيالتنا، شأنهم في ذلك كشأنهم و هم مشاة

راجلون، إنهم دوماً يسار ورائهم، ولا يسايرون و لايسبقون"

و يقول: "فإن برقت الأسنة و لمعت السيوف، و جاء الموت الباغت، لايبإلي أحدهم أ وقع على الموت، أو وقع الموت عليه "و يقول في ص ٩٧ « سمعت أعرابياً يخاطب جاموسةً و هو يشدها قبل النحر: إن موتك لحقٌ يا حبيبة، فأشتري بثمن جلدك و لحمك بندقيةً لكي أغدو رجلاً حقاً.»

كانت هذه الجولة التي انتصرت العشائر العربية الأهوازية فيهاعلى قوات الإنجليز في منطقةٍ صخرية غربي الأهواز (١٠ كيلومترات)، تسمّى "المنجور" و سمّيت هذه المعركة، معركة المنيور باللّهجة الدارجة العربية الأهوازية.

أما الجولات الأخرى فكانت لصالح القوات البريطانية و قد تقدّمت نحو أهدافها غرباً بعد أن احتلّت مدينة الأهواز، و كانت القوات العشائرية تشاغلها، حتى وصلت مدينة الخفاجية (٥٥ كيلومتراً غرب الأهواز)،

فصبّت جام غضبها عليهـا. وفـي هـذا يقـول **ولـسون** قائد القوات البريطانية، في كتابه، بـلاد مـابين النهـرين: "و أمضينا الأيام الثلاثـة الأولـى ننـزل العقـاب بقبيلـة بني طرف النازلة بالخفاجية... و كانـت المدفعيـة معنـا على الضفة إليُمنى من نهـر الكرخـة فأخـذت تـصب حمم قـذائفها علـى الأخـصاص (بيـوت مـن قـصب) فاشـتعلت فيهـا النـار فاحترقـت بعـض الخيـول و الجواميس التاعسة التـي نبـذها أصـحابها فـي العـراء فكانت شواءاً حياً"

أما فؤاد جميل متـرجم كتـاب بـلاد مـا بـين النهـرين **لولسون** يقول في هامش الكتاب صفحة ٩٤:

"...- و الله مـن ورائهـم محـيط - مـا ذنـب هـؤلاء الأعراب الآمنين في أهـوارهم أن تجـرّد علـيهم حملـة بريطانية لتقتل و تحرق و تنهب فـي ديـارهم، لقـد أراد الغزاة المستعبدون لهم الإستكانة و مـا كانـت الإسـتكانة من شيم العرب، إنّ وقوفهم بـإزاء عـدو هـو ذوتفّـوق عليهم عدداً و عُدةً أبلج ناصح يبهر أعين الناظرين".

أما القوات التركية فقد انهزمت أمـام الجـيش الإنجليـزي و تركت العراق بكامله و بقي العـراق تحـت الإحـتلال البريطاني حتـى ثـورة العـشرين (١٩٢٠) و انتـصار الشعب العراقي على الإحتلال.

مواقف الشيخ خزعل :

١ - علاقات الشيخ خزعل مع بريطانيا :

إنَّ علاقة الشيخ خزعل مع بريطانيا تعتبرفتح صفحة جديدة من النفوذ البريطاني في المنطقة إذ وجدت في الشيخ حاكماً قوياً فقايضته علي طموحه في الإسـتقلال مقابـل منـع الإمتداد الروسي إلي راس المنطقة وبناءاً علي ذلک أعطته ضمانات علي شروط مشابهة لما أعطتها لـشيخ الكويـت آنذاک ومن ضمنها حمايته عن أي خطر يهدد إمارته وقـد وصل ذلک التعاطف مع الشيخ خزعل من جانب بريطانيا إلى حدّ أ نّ„كوكس‟السياسي المطلع في شـؤون المنطقـة إقترح علي الشيخ أن يرفع العلم الأحمر ويعلن استقلاله و

أن تقدم بريطانيا قرضا" بمبلغ ١٠٠٠٠باوند للشيخ شريطة ألّا تعلن المفاوضات المتفق عليها بين الطرفين.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولي انكشفت سياسة المناورة والخداع التي مارستها بريطانيا وماكان للشيخ إلاّ أن يرشح نفسه ملكا" علي العراق كأنه يردّ بذلك علي بريطانيا التي لم يرق لها هذا الطموح الذي يوحد الإقليم مع العراق.

٢-علاقته مع الدوله العثمانية: كانت العلاقات بين الشيخ خزعل والدولة العثمانية قائمة علي الإحترام المتبادل .وعند ما قامت الثورة التركية عام ١٩٠٨رحّب الشيخ خزعل بها وقد أعلن عن ولائه لجمعية الإتحاد والترقي التي كانت قد ثارت ضد السلطان التركي لكنّ هذه العلاقات الودية سرعان ما تبدّدت وذلك بسبب تبني رجال الإتحاد فكرة الحركة الطورانية التي تؤمن بتفوق الجنس التركي علي سائر الأجناس كما كانت الجمعية لا تؤمن باستقلال الشيوخ العرب بل كانت تريد ارغامهم علي ولائها.

وعلي ضوء هذه العلاقات بين الشيخ خزعل من جهة وبريطانيا والدولة العثمانية من جهة أخرى يمكن أن نقيم موقف الشيخ تجاه الدولةالعثمانية التي كانت تريد الهيمنة علي جميع المنطقة وكذلك موقفه الحذرالموالي للإنجليز بناءاً علي ما وعدوه من وعود تسيل لعاب أي حاكم.

ومن خلال هذه المواقف و الظروف التي كانت تحيط به كان من الصعب عليه أن يقف موقف الموالي للعشائر العربية التي تصدّت للجيش البريطاني في اجتياحه للأهواز ومدنها فبقي كالقابض علي النار وكأنه قد أدرك أن رجل أُوروبَّة المريض (الدولة العثمانية) كان مدبراً إلي الأفول وأن بريطانيا جائت إلي المنطقة تحمل مع الرصاص والقنابل ماهو جديد من التطور الغربي في مطلع القرن العشرين ومثل هذه التطلعات لم تكن غريبة علي الشيخ الذي كان يتابع التطورات العالمية ويعايشها،علي خلاف رؤساء العشائر العربية المتصدية للعدوان البريطاني بحميّة

ديينة بحتة. ومع هذا لم تقبل حميته أن يقف مكتوف اليدين،بل راح يستخدم نفوذه لدى الإنجليز،فأعاد العلماء المبعدين من العراق في الهند (١٩٢٠) وأسكنهم عنده ومن هولاء العلماءالسيد محمد جواد الجزائري و السيد علي بحرالعلوم والسيد صالح الحلي[1].

٣- حرب الحجاب و جرائم رضاشاه

كانت الدولة القاجارية الحاكمة في ايران، تلفظ آخر أنفاسها في العقدين الأول و الثاني من القرن العشرين، و قد شهدت ايران مزيداً من الإضطرابات.

و في خضم تلك الأحداث ظهر فيها رجلٌ عسكري عنيف يدعى رضا سوادكوهي (البهلوي)، فتسلّق سلالم القدرة حتى أصبح رئيساً للوزراء و قائداً عاماً للقوات المسلحة بعد انقلابٍ عسكري قام به (١٩٢٠ / م) و في سنة ١٩٢٥ تُوّجّ ملكاً على ايران، و كانت

[1] - النهضة العربية الكبري امين سعيد ج ٣ ص٤١

بريطانيا قد لعبت دوراً هاماً في تمشية الأمور لصالحه. و في عهد تولّيه رئاسة الوزراء، قام بحملةٍ عنيفةٍ واسعة ضَد القوميات في ايران، فنكب قوم البختيار القاطنين الجبال في وسط ايران، و أعدم زعمائهم و كذلك فعل بأكراد ايران، ثم إتجه نحو الأهواز، فاحتلّها و ألقى القبض على حاكمها المقتدر الشيخ خزعل بن جابر الكعبي سنة ١٩٢٥ ، و أرغمه على الإقامة الجبرية في طهران أحَدَ عشر عاماً، و من ثم قضى عليه خنقاً سنة ١٩٣٦ / م.

و هكذا استطاع رضاخان (رضاشاه) أنْ يسيطر على كثيرٍ من مناطق الأهواز، لكن الخفاجية و نواحيها لم تخضع لعماله، فأخذ يستعمل الذرائع المختلفة، و منها نزع الحجاب عن نساء العشائر، و كان عمال الشاه و جنوده (القزاق) يهاجمون النساء و يسحبون الأقنعة و العبيّ عنها و كانت هذه النقطة التي يتحسس منها أبناء العشائر، لذلك و بعد أن كثرت مظالم الشاه و عماله من أجل إخضاع الناس و إذلالهم، أجمع رؤساء

العشائر على المقاومة و تصدوا لمعسكرات الحكومة المتجحفلة و هناك و هاجموها و احتلوها لكنّ الحكومة استعملت ضد العشائر القوة و السياسة، فبالقوة ضربتهم بطائراتها و مدافعها، و بالسياسة استعملت سلاح التفرقة (فَرّق تَسُدْ) بين العشائر فتنازعت ما بينها فذهبت ريحهم، وضعفوا و استكانوا.

و تتابعت عليهم ضربات الحكومة و أمر رضاخان بإبعاد رؤوس العشائر من منطقة الخفاجية إلى النواحي الشمالية من ايران.و بعد فترةٍ أمر أيضاً بإبعاد عوائلهم، فجمع الجيش أكثر من ١٥٠٠ شخصٍ من صغار و كبار و نساء و أطفال فساقوهم مشياً على الأقدام من منطقة الخفاجية و نواحيها إلى طهران و كان ذلك سنة ١٩٢٥ / م و قد مات أكثر من نصف من هذه القافلة المظلومة، و هذه النكبات، هي التي تُكَوِّنُ هيكل هذه الملحمة.

و في الحرب العالمية الثانية دخلت قوات المتفقين "بريطانيا و امريكا و الإتحاد السوفيتي (روسيا)" ايران، فأمرت بإبعاد رضاشاه في شهر أيلول عام ١٩٢٥ / م إلى جزيرة موريس في جزيرة ماداغشغر في المحيط الهندي، و بقي هناك حتى مات يوم ٢٦ يوليو ١٩٤٤. و كما جاء به الإنجليز أطاحوا به مع حلفائهم، و نصبوا على العرش إبنه محمدرضا البهلوي الذي استمر بسياسة والده من ايلول ١٩٤١ إلى شباط ١٩٧٩ ، إذ أطاحت به الثورة الإسلامية .

و هكذا انقرضت سلالة البهلوي المالكة كما انقرضٍ النظام الشاهنشاهي (ملك الملوك) الذي طال ٢٥ قرناً، إلى غيررجعة.و لم يخلّف هذاالنظام العنصري الجائر في قلوب أهل الأهواز غيرالقمع و الإحباط و الفقر و التخلفَ. و هذه الملحمة مشهدٌ من مشاهد ظلم ذلك النظام التعسفي العميل.

الفصل الثالث

قافلة الحب و الموت

(مأساة شعرية)

تمهيد

هذه ملحمة مأساوية شعرية[1] ، عاش بعض أبطالها بيننا ، فسمعناها من أفواههم و أخذ ناها عن مذكّراتهم[2] .

---

١ – هي قصة التبعيد الكبير الذي تعرضت له القبائل العربية في الأهواز بأمر من رضا شاه ملك ايران (١٩٢٥-١٩٤١) و قد بلغ عدد الأسري أكثر من ١٥٠٠ شخص من عوائل رؤوس العشائر ، من صغار و كبار . و كانت مسافة التبعيد قد بلغت ١٣٠٠ كيلومتر بدءاً من مدينة الإبسيتين (بستان) إلى مدينة الخفاجية إلي مدينة الشوش إلي مدينة خرم آباد حتي بروجرد الي مدينة أراك ،مشياً علي الأقدام و من أراك الي طهران و من ثمّ إلي جرجان شمالي ايران.

٢– مصادر الملحمة:

١– الحكاية الشفوية عن لسان المرحوم زاير راضي الصافي وهوأحد أبطال القصة

٢– المذكرات المخطوطة للمرحوم كشكول بن الشيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ شرهان الطرفي، و كان المرحوم كشكول مع أبيه ضمن الأسري رواها عنه المرحوم جاسم محمد والد كاتب هذه المأساة .

٣– كتاب تأريخ بني طُرف (مخطوط) للحاج عصمان بن زاير علي الطائي

٤– كتاب المنيور (المنجور) تأليف حميد الطرفي

٥– مطابقة المعلومات مع إشارات في كتب و مقابلات متفرقة جاء بعض الكتب في مدخل الملحمة.

قافلة الحب و الموت تجسّد عنيف للقهر و الظلم و التعذيب ، و شاهدٌ حيّ علي وحشية الإنسان و سبعية و إجرامه .

قافلة الحب و الموت ، ركب أشباح يسير ، و رحي الموت تدرومعه فاغرةً فاها تلتهم الكبار والصغار ، شيوخاً و عجائز و حوامل و أطفالا و شبابا.

في قافلة الموت لا فم يتحرك إلاّ فوهات البنادق و لا صوت يسمع إلا أصوات لسع السياط علي المتون.

في قافلة الموت تنقلب مفاهيم الحياة فيصبح الموت هوالسعادة و الحياة هي الجحيم .

في قافلة الموت ، تموت الأجنّة قبل المخاض و تهلك الأمهات قبل الولدان.هنا في قافلة الحب و الموت تنتهك الحرمات و الأعراض، وأما الحب فينقلب إلي عذاب و هلاك ، إذ يري الحبيب جيبته تنهش لجمها الكلاب فيصرخ الحب و الإيمان في وجه البنادق ، فتكون المأساة .

قافلَةُ الحُبِّ و المـوت

كَسَرَ النَّسرُ جَناحي يا خَيالاتي خُذيني
و احمليني لأُغنّي لبلادي بحنيني

غُربةٌ قاتلةٌ تنخُرُ ما بين ضلوعي
و أنا لستُ مباحاً في ذهابي و رجوعي

نَهَشَ النَّسرُ عيوني و يدي فوق جبيني
و خيالي مونسي ما بينَ شكّي و يقيني

فانشليني مِن خضوعي و خذيني لربوعي
فأنا أُبصِرُ أَشباحاً تراءى في دموعي

و أَراها تتوارى خلفَ أنقاضِ سنيني
و أَرى قافلةً تمشي على لحنٍ حزينِ

إنها قافلةٌ لكنّها مأساةُ شعبٍ
قاومَ الشرَّ بعزمٍ و تحدّى كلَّ صعبِ

إنّها قصّةُ إيمانٍ تَصدَّى للعنادِ
إنها معركةُ الحقّ على جيشِ الفسادِ

إنها ملحمةُ الموتِ و عنوانُ الجهادِ
إنّها مَجزَرَةٌ عبر جبالٍ و وِهادِ

إنّها قصةُ حُبٍّ و جمالٍ و شباب
حُبُّ «سلمانَ و سَلْمىٰ» قصةُ القلبِ المُذاب

ساعديني يا خيالاتي على لحنٍ وزينِ
ساعديني لِنُعيدَ الروحَ فيها ساعديني

* * *

(في المنفي، في أيْذَج*)

شَبَحاً كنتُ لمن يجلسُ في المقهى، مُريبْ
تتبعُ الهمسَ عيونٌ من بعيدٍ و قريبْ:

إنَّه شخصٌ غريبٌ، إنّه شخصٌ خطيرْ
مُبْعداً جاءَ بهِ ايذج -مغلولاً-، خفيرْ

* * *

بعد ساعاتٍ من الهَمسِ و طولِ الإنتظار
وصَلَ الباصُ من الأهوازغشّاهُ الغُبار

و أَنا أنظُرُ من خلفِ غُبارٍ باختلاج
و إذا وجهُ أبي يَظهرُ من خلفِ الزُّجاج

نَزَلَ الوالدُ ما أحلاهُ مُشتدَّ القَوام
مُقبلاً، مبتسماً، يسبق لُقياهُ، السّلام

* أيذج : اسمٌ معرّبٌ من ايذه و هي مدينة إيرانيّة جبليّة نُفي الشاعرُ إليها سنة ١٩٦٧/م

هكذا كان لطيفاً دائماً مثل الزهورْ
و به كلٌّ من الإخوان و الأهلِ فخورْ

ثمَّ القيتُ على الرُّكابِ بعض النّظراتْ
و إذا كوفيّةٌ في آخر الباصِ تجرّ الخطواتْ

و إذا صاحبُها يهوي يميناً و شمالْ
خِلتهُ نشوانَ يختالُ بعزٍّ و دلالْ

أنزلَ الرِّجْلَ مِن الباص فكانتْ من حديدْ
و إذا الأُخرى عمودٌ خشبيٌّ لا يميدْ

إنَّه الزّائرُ«راضي»كان في سوق الخضارْ
جَهْوَريّ الصوتِ، معروفاً لدى هذي الديارْ

* * *

واجتمعنا حولَ راضي و أَبي جمعاً سعيدْ
جَمعُنا في غربة كان له وجد مزيد

وَلَدِي كان صغيراً و هو في البيت وحيدٌ
خائفاً كان من الضيفِ به رَوعٌ شديدٌ

بعدَ أنْ هَدَأَ راضي الرّوعَ مِنه واستقرْ
وجّه الطفلُ سُؤالاً مالَهُ منه مَفَر:

أيـنَ رجلاكَ لماذا رجلُكَ اليُمنى حديدٌ؟!
عَلّهُ حادثُ سَيرٍ واقعٌ منذُ بعيدْ

أين يُسراكَ، لماذا كفُّكَ اليُمنى قطيعهْ ؟!
إنها فاجعةٌ يا جدُ لاشكَّ فظيعهْ

* * *

و جَمَ «الزائرُ» لا يعلمُ عمّاذا يُجيبُ
وأَلحَّ الطفلُ إلحاحاً بإصرارٍ عجيبْ

زوجتي قالت: أَيا عمٍّ تكلّمْ يا لبيبْ
و افشِ عَنْ حادثةٍ كبرى و عن سرٍّ غريبْ

نَظَرَ الزائر في أَطرافِهِ ثمَّ تنهّدْ
و كأَنَّ الحادث الماضي قديماً، قد تَجدّدْ

يا ابنتي هذي جراحٌ لم تَزَل تسكن جنبي
إنها منذعقودٍ بين أعماقي و قلبي

قالَ و الهَمُّ بدا في ناظِرَيهِ كالسَّرابْ
و دموعُ الحزنِ لاحت بينْ عينيه حبابْ:

قــصتي قــصةُ شــعبٍ صــيتُهُ ســارَ و طــارْ
كــان شــعباً مُــسلماً مــا لاذ يومــاً بــالفرارْ

عاش فــي أرض (الخفاجيّــة) أَمنــاً و قــرارْ[1]
هــاجموهُ، شــرَّدوه و أَذاقــوهُ المَــرارْ

قــصّتي سِــفْرُ هُمــومٍ وعَنــاءٍ وعــذابْ
ليتَ مَــنْ يكتبهــا للنــاسِ عــن قــولي كتــابْ

(الإعصار)

هَــبَّ إعــصارٌ مــن الــشرقِ فأَطفــا حُبَّــهُ
وَ بِنَــار الحقــدِ و المــدفعِ أدمــى قلبَــهُ

جاءَنا „خــانٌ„ فخــانَ الــشعبَ فــي ألــف قنــاع
جاءنــا جــيش „رضــاخان„[2] بــأنواع الخــداع

[1]- الخفاجيّة : مدينة غرب الأهواز ، تطلق على جميع أرض دست ميسان و مـن نواحيهـا البسيتين و الحويزة.

٢- رضاخان : ملك ايران (١٩٢٥ –١٩٤١)

عرَّضَ الأعــراض للهتــك و أنــواع الــسّباب
أخضعَ النــاسَ بإرغــامِ علــى نــزع الحجــاب

طاردوا النُّسوان في الأَحيــاءِ فــي كــلِّ دنائــهْ
ســحبوا منهــا قناعــاً و وشــاحاً و عبــاءَةْ

و ابنةُ المجدِ أَبَــتْ أَنْ تحتــسي كــأسَ الهــوان
إنَّهــا تِــربُ عفــافٍ و ابْنَــة الخــدر المُــصانْ

فاستــشاطتْ غيــرةً ثــمَّ أهابَــت بالرجــال:
يا لَقومي هل تنــامونَ علــى هــذي الفعــال ؟!

* * *

(ألموت و لا العار)

و اســـتثارت صــيحةُ الـــشعب فَهَبّـــوا للقتـــال
هاجموا جيش رضـــاخان و طـــاغوت الـــضّلال

هزموا„القـــزّاق„[1] فـــي بـــستانَ[2] أبنـــاءُ العـــشائرْ
كسروا جـــيش الأعـــادي ثـــمَّ عـــادوا بالبـــشائرْ

طـــردوا الخَـــصم بعيـــداً ثـــمَّ عـــادوا للحقـــول
و ارتـــدت أثوابهـــا بالخـــدر ربـــاتُ الحجـــول

* * *

و بـــدا فـــوقَ جبـــين الزائـــر الهـــمُّ و جَمْجَـــمْ
و كـــأنَّ الحـــادثَ المـــؤلمِ بالفعـــل تجـــسمْ

طأطـــأَ الـــراسَ حزينـــاً حـــائراً يُـــضمِرُ سِـــرّا
جَـــسَّدَ الحـــادث فـــي عينيـــه مَأْســـاةً و شـــرّا

---

[1]- القزاق : جنود رضاشاه.

[2]- بستان : هي مدينة البسيتين و قد تكون مخففةً من اسم «بسامتي» التي ذكرها ياقوت في معجمه ، تقع غرب مدينة الاهواز على بعد ٦٥ كيلومتر [1]- القزاق : جنود رضاشاه.

ناولتْـــهُ زوجتـــي كأســـاً مِـــن الـــشاي و قالـــتْ
هيّـــا يـــا عـــمٍّ قلـــوبُ الجمـــع للقـــصَّه مالـــتْ

كيـــف ذاك الحُلُـــمُ المنـــشودُ فـــي يـــومٍ تحطَّـــمْ
كيف ذاك الأمنُ في الأحيـــاءِ فـــي آنٍ تَهَـــشَّمْ ؟

* * *

و هنـــا قـــال أبـــي: فَلْنتـــرُكِ الـــضيفَ قلـــيلا
يجـــذبُ الأنفـــاسَ إنَّ الـــشّرح مـــازال طـــويلا

يـــا ابنتـــي مـــا كـــلُّ حُلـــم نتمنـــاهُ تحقـــقّ
فالأمـــاني تـــارةً تنمـــو و طـــوراً تتمـــزّقّ

* * *

تـــابع الزائـــرُ مهمومـــاً لتلـــك الـــذكرياتْ:
إنهـــا الفاجعـــةُ العظمـــى و كبـــرى الحادثـــاتْ

بعدَ يومينِ من النصر على جيش الظلام
و إذا صوتُ دويٌّ و انفجار و انهدام

طائراتٌ صبّت النارَ على دور القصب
شبّت النار بها و الناسُ في وسط اللهبْ

وجّهَ الطاغوتُ فوهاتِ دمار و فناءْ
قتلتْ جمعاً غفيراً مِن أُناسٍ أبرياءْ

من شيوخٍ و شبابٍ و صغارٍ و حَوامل
و أَبادوا الزرع و الضّرع بنيران القنابل

ملئوا الكرخةَ قتلى من دوابٍ و بشرْ
ملأَ الله بهم نارَ حميمٍ و سقرْ [1]

* * *

[1] - الكرخة : نهر يسقى الخفاجية و البسيتين و الحويزة و يصب في الهور العظيم .

(الطفلُ الضائع)

كنتُ طفلاً حينها في أُخريات الثامنهْ
قريتي كانت على النّهر و كانت آمنهْ

بيتُنا كانَ صغيراً نائماً بين النَّخيلْ
و غصونُ السَّعَف الأخضر تعلو و تميل

آه لمّا شبَّتِ النارُ و قدْ حلَّ الدمارْ
هَرَعَتْ أُمِّي تُنادي والدي بينَ الديارْ

و أنا أَبحث في الأنقاضِ عن أُختي الصغيرهْ
آه يا أختي و قلبي، أَين أنتِ يا سميرهْ

راكضاً كنت و لا أَدري إلى أين المصير
و لهيب النار ينهال على رأسي و في جنبي يسير

و إذا صوتٌ مَهيبٌ و دَويٌّ و انفجار

و إذا الدنيا حريقٌ كلُّها ثمَّ انصهار

* * *

(الشظية التذكارية)

عندما استيقظت من نوم عميق و طويل

طالَ شهرين و لَمْ أَسمع بهِ قالاً و قيلْ:

يا الهي! أينَ رجلايَ و ماذا حلَّ بي

أين أمي، أين أختي، أين أنت يا أبي

و يدي! أَين يدي اليسرى و ماذا قد جرى

أين كفي من يدي اليمنى! و مَن لي فجّرا؟!

و بفخذي هذهِ اليمنى إلى الآنَ شظيّهْ

إنها تَذكارُ عصرِ الظّلمِ من تلك البليّهْ

بَقِيَتْ تحيا معي في جانبي سبعين عامْ

و ستبقى شاهداً عن عهد ظلمٍ و ظلامْ

إنَّها مأساةُ شعبٍ فاكتبوها يا كرامْ

ليرى العالَمُ ظُلْمَ «الشاه» في حقِّ الأَنامْ

والدي قال: و لِلْمأساة يا راضي بقيّهْ

و غداً أروي لكم يا سادتي هذه القضيهْ

عن لسانٍ كان من أَبطالِ تلك الواقعهْ

فروى لي ذات يومٍ عمقَ هذي الفاجعهْ

(خطبة راضي لولده)

زوجتي قالت لراضي عندما جاء النهارْ:
ما الذي تفعلُ يا راضي علي هذي الد يارْ

إنها أرض جبال و وعورٍ و وهادْ
خُصّصت للنّفي و التبعيد من هذي البلادْ

قال راضي: و لهذا يا ابنتي أيضاً حكايهْ
و أنا جئت هنا رغماً و في القلب شكايهْ

إنّها «النَّهوةُ» يا سيّدتي، فيها البلاء
هتكت في الناس أعراضاً و لا فيها شفاء

و هي أن ينهى بنُو العمِّ بتزويج البنات
من زواج الغير- أحياناً-إلي يوم الممات

و أنا واجهتُ منها يابنتي شرّاً كثيرْ
و يكاد العقل مِن عاداتنا هذي يطيرْ

جئت كي أخطب لابني مِن بُنيّات العجمْ
عَلّهُ ينجو من العُنف و صيحات النِّقمْ

* * *

قلتُ: مهلاً، هذه النهوة ليست شاملهْ
و هي في بعضٍ قليلٍ مِن قرانا عاملهْ

و ستنهار قريباً تحت أضواءِ العقولْ
و نرى النورَ يَعمُّ الناسَ و الظلمَ يزولْ

* * *

قال راضي: يا بُنيَّ الأمرهذا سيطولْ
و ستبقى هذه العاداتُ تمشي و تجولْ

(فى مجلس الخِطْبة)

عُقِدَ المجلسُ للخِطبة و انهال الرّجالْ
ملئوا الدارَ ضجيجاً و صياحاً في المقالْ

والدي قدّم آياتٍ مِن الذكر الحكيم
حول ما يُحكى لدى الخِطبة مِن قولٍ سليم

و إذا المجلس يُدلي بأحاديثٍ عجيبهْ
عَلّني أذكر منها بعضَها، و هي غَريبهْ :

قَدْ تمطّى واحدٌ منهم و مِنْ ثم تنحنحْ
و أتى بالقول و اللهجة ملثوغاً و صرّحْ :

فلماذا يضرب الزّوجة أبناءُ العربْ
و يكيلون لها الشتْمَ بِلا أدنى سببْ ؟

تمتَم الثاني و لا نعرف عمّاذا تكلّمْ
أطلق الثالثُ قولاً مبهماً ثمَّ تبسَّم

و إذا الرابع يُدلي بحديثٍ شائعٍ
مِن أكاذيب شعوبيات حِقدٍ ذائعٍ

عندنا قال: حديثٌ مِن أحاديث الرّسولْ
إنّه قال: «مِن العربُ أنا» لكنْ يقولْ
«ليس منّي العُربُ» في الأصلِ أيا أهل الأصول [1]

[1] – يطلق بعض العامّة مِن الحاقدين حديثاً مجعولاً غير موجودٍ في أي كتاب ، أن الرّسول الأعظم قال : «أنا من العرب و ليس العرب مني» و يجيبهم بعض العامّة من العرب ، بل : «... ليث العرب مني» !!!

و إذا صوتٌ يَصُكُّ السمعَ و الجمع ذَهول
و إذا نصف ذراعٍ يضرب الصدر يجولْ

إنه راضي يُنادي: إخرسوا يا حمقاء
فِعلُكُم هذا شنيعٌ من صفات الجبناء

كلّما حدّثتموا عنا هراءٌ في هَراء
إنها أقوال كذبٍ و روايات رياء

إنه البهتان لا يقبله العقلُ السليم
و رسولُ اللهِ حاشاه من القول السّقيم

أين هذا من حديثٍ «بَيْدَ أني من قريش»[1]
ليس ما تروونه، إلّا أكاذيب و طيش

[1] - الحديث الشريف «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش»

نحن مَن ناصَر دينَ الله في كلّ الفتوحْ
و رسولُ الله في ما بيننا عطرٌ يفوحْ

نحن مأوى الضيفِ نحمي الجارَ في شدّ الخطوب
نحن حدّ السيف أهلُ الثأْر فرسان الحروب

و النِّسا فينا،أديباتٌ و رباتُ حِجال
يَمْتَطِينَ المجدَ دوماً مثلما يعلو الرجال

هنّ ربّاتُ بيوتٍ آمراتٌ ناهيات
سيّداتٌ ماجداتٌ شاعراتٌ أمّهات

فَلتَكفّوا مِن غرورٍ و ازدراءِ و افتراءْ
و انظروا في ذاتكم و لتتركوا هذا الغباءْ

* * *

مالَ راضي بذراعٍ أبترٍ نحو المَخدَّهْ
و عيونُ الجمعِ راحت تتبعُ الزّندَ بشدّهْ

رفع الشيخُ جهازاً اسطوانيّاً مُريبا
و إذا المجلِس مرعوبٌ و بالهول أُصيبا

هَرع البعضُ إلى الباب لينجوا بالنفوس
و إذا البعضُ على البعضِ مِن الخوف يدوس

كُلّهم ظنّوا بأنَّ الشيخ أخفى بندقيّهْ
عندما جاءَ إلى المجلس في هذي العشيهْ

* * *

ركّبَ الرّجْلَ الصّناعيةَ راضي بغضبْ
و تركنا ذلك الجمع مصاباً بالعجبْ

و ذهبنا نحن في الفور و في القلب لهيبهْ
و تركنا معشراً أطوارهُ كانت غريبهْ

* * *

قافلةُ الموت

و جلسنا مستعدّين لكي يروي الروايهْ
والدِي عن قول«كشكولٍ»و تفصيل الحكايهْ

قال «كشكولُ[1] العليّ» يرحمه اللهُ العَلي:
كلُّ من يظلمهُ النّاسُ لهُ اللهُ ولي

هكذا قال: مضى جيشُ رضاخان العنيدْ
يضرب الناس بساطور و سوطٍ من حديدْ

و كذا قد أَرغمَ الناسُ على لبس السفور
رَوّج الفحشاءَ و الفُسقَ و أَنواعَ الفجور

ليتهُ كفَّ عن الناس و عن تقييدهم
إنما، يا سادتي المأُساةُ في تبعيدهم

* * *

[1] - هو المرحوم «كشكول» بن الشيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ شرهان و كان أحد المبعدين .

(التبعيد الأول)

جمع الطاغي رؤوسُ القوم مـن شـتّى الـديارْ
بعـد مـا شـبَّ بهـا النـارَ و سـوّاها دمـارْ

و غدوا تسعين شـيخاً مـن رئـيسٍ و مُرافـق
ساقهم أسـرى إلـى طهـران أجنـادُ المنـافق

بعد أن مـرَّ علـى تبعيـدهم عـشرون شـهرا
جاءنـا الجـيشُ يزيـدُ النـاسَ إذلالاً و قهـرا

(التبعيد الثانى)

أمَرَ الجـيشُ بإحـضار ذوي الأسـرى جميعـاً
لو تـرى أسـلوبَهم فـي جمعنـا كـان مُريعـا

بعد أنْ غـاروا علـى أموالنـا وضْـحَ النهـار
جمعونـا مِـن كبـارٍ و شـبابٍ و صـغار

و صـبايا و نـساءٍ عـاجزاتٍ حاسـراتْ
بلغـت أعـدادُنا ألفـاً و أعـداد المئـآتْ

صـاحَ فينـا قائـدُ الجُنـدِ و نـادى بالرحيـلْ:
أيها الأسرى اسـتعدّوا و دَعـوا هـذا العويـلْ

* * *

تركـوا الأهلـين يبكـون بـدمع كـالمطرْ
و مضوا قهـراً و لا يـدرون مـا شـاءَ القـدرْ

سـاقَهم مـشياً علـى الأقـدام أقـزامُ الطُغـاةْ
عبرَ«بُـستان» إلـى «الـشوش» مهـازيلاً مُـشاةْ

سار ركـبُ المـوتِ أيامـاً عـسيراتٍ طـوالْ
جاوزوا الشوش و«صلح آباد»غاصوا في الجبالْ[1]

[1] ـ صلح آباد مدينة شمال الأهواز على بعد ١٦٠ كيلومتراً تسمى«انديمشك ».

و هنا يبدأُ يا إخوان عمقُ الفاجعهْ
عندما هبَّت رياحُ البرد عصفاً لافعهْ

عصفت فينا هبوبٌ من تباريحَ الشِّتاءْ
فتداعت قوةُ الأسرى و ناءَ الضَّعفاءْ

مُزِّقت أحذيةُ الناس يسيرون حُفاةْ
و جنودُ الشاه مازالوا، ركوباً لا مشاةْ

عَظُمَ الداءُ علينا و تغشّانا السّقامْ
ظنَّ بعضُ الناسِ أنّا قدْ أُصِبنا بالجُذامْ

في «حسيناوةَ» راح الناس يرمونا حجارهْ:
أبعدوهم عن قُرانا إنَّهم ركبُ قذارهْ

* * *

آه يا حسرةَ قومٍ شيّدوا صرح حضارهْ
„حِمْيَرِيّينَ„ بنوا „مَأْربَ„ تأريخاً و شارهْ

أين هذا الذُّلُ من أهلِ المعالي والطموح
من رجالٍ طلبوا العِزَّ على ظهر السَّبوح [1]

آه من ذُلٍّ ستبقى تحرقُ الأضلعَ نارهْ
كيف كُنا، كيف ضِعْنا، كيف صرنا، يا خسارهْ

* * *

١- السَّبوح : الفرس السابح في العدو .

كَم مريضٍ قد هــوى فــي هُوَّةالــوادي فمــاتْ
و صغيرٍ لم يجــد قوتــاً يغذّيــه فعافتــه الحيــاةْ

و عجــوزٍ لايطيــق الــسيرَ مــشياً فثــوىٰ
و رفيــقٍ حمــل الــشيخَ قلــيلاً فهــوىٰ

صاحَ فينا قائدُ الجنــدِ اتركــوا هــذا العجــوزْ
ليلاقــي حتْفَــهُ فــي شــرعِنا هــذا يجــوزْ

يــا الهــي أيُّ شــرعٍ شــرعكُم يــا بهلــويّ !
شــرعُ غابــاتٍ و ديــدانٍ و قــانونُ القــوي

و يسير الركبُ، ركب الموتِ ما بــيْنَ الــصخورْ
و رحى الموتِ مــع الركــبِ كمــا دار تــدورْ

و على الصّخرِ و بينَ الــدّرب فــي ذاك الجَليــدْ
رُبَّ حُبلى وضعت، ماتت، كمــا مــات الوليــدْ

* * *

قصة أقراط الذهب

قلــت للوالــد :يــا مــولاى أضــناك التعــبْ
كــلُّ مــا حدثتناعنــه غريــبٌ و عجــبْ

هل حكى الراوى لكم قــصةَ أقــراطِ الــذهبْ؟
قــال لا تــنسَ،ففــي النّــسيانِ للــشيبِ ســببْ

قلت:قالوا بعد أن شــقَّ علــى الركــب المــسيرْ
أصبح السيرُ علــى الأقــدام للأســرى عــسيرْ

سقطت حُبلى على الأرض من الضعف فصاحت:
أنقذوني أنقذوا طفلي من الموت،وناحت

ذهب الأسرى إلى الآمِرِ كَي يرجوهُ حَلّا
طلبوا منه بأن يسمح أن تركبَ بَغلا

بعدَ لَأيٍ ورجاءٍ وبكاء و عويل
أمروا أن تركبَ الحُبلى على بغلٍ نحيل

و أَتوا بالبغل يحبونحوها فى خطواتٌ
فكبا من ضعفهِ في هُوَّةِ الوادي فماتٌ

فأقام الآمِرُ القاسي على الحُبلى القيامهْ
وقضى أن تدفع المرأةُ في البغلِ غرامهْ

إنَّ هذا البغلَ من أموال جيشِ البهلوي
إنهُ بغلٌ أصيلٌ وحَمولٌ وقوي

لعبَ الّسوطُ على المتنِ بضرب ألسعهْ
وتمادَت يدُهُ للجيدِ نحوَ المقنعهْ

لمع القرطانُ فوقَ الجيد كانا من ذهبٌ
فأطارا عينه كالنار شبّت في حطبٌ

شدَّ في القرطين أظفاراً كأظفار النسور
و إذابالدم يجري فوق نحرٍكالبلور

أشفق الأسرى وصاحوا ياإلهَ العالمين
إنتقم يا ربّ من فعلِ الطُّغاةِ الظالمين

صوَّبَ الجُندُ إلـــى الأســرى بفوهـــات البنـــادقْ
وإذا الموتُ بــذاك الرَّكـــبِ كالأســلاكِ حـــادقْ

دمعـــت عينـــا أبـــي و البيـــتُ غـــشّاهُ الوجـــومْ
حَبَس الأنفاسَ فـــي الـــصّدر و هاجَتنـــا الهُمـــومْ

طَأْطأَ الرّاسَ أبي كـــي لا نـــرى فيـــه الـــدموعْ
و صـــبرنا يعـــصرَ الحـــزنَ قلوبـــاً فتمـــوعْ

و إذا صـــوتُ صـــغيري غيّـــرَ الليـــلَ نهـــارْ:
إيهِ يـــا جَـــدّي تكلَّـــمْ، ايـــن ذاك الركـــبُ ســـارْ

و مضى الوالدُ يروي نكبـــةَ الرّكـــبِ الـــصبورْ:
يا بُنـــيَّ الرَّكـــبُ هـــذا ركـــبُ إيمـــانٍ و نـــورْ

جاهدوا مِن أَجلِ دينِ الله و العِـــرضِ المَـــصونْ
و مضى منهم بسوحِ الحـــربِ مَـــنْ ذاق المَنـــونْ

سَجّل الأبطال فيها معجـــزاتٍ فـــي «الجهـــادْ»[1]
عند ما جاءتْ جيـــوشُ الغـــرب تجتـــاحُ الـــبلادْ

و بهذي الحرب في الدرب التي خاض الأماجـــدْ
شهداءٌ فـــي ســـبيل اللهِ و «المنجـــور»[1] شـــاهدْ

و بهذا الركـــبِ و الـــدّربِ فَمـــنْ مـــات شـــهيدْ
و الـــذي عـــاش بعيـــداً مُبعَـــداً مـــاتَ ســـعيدْ

---

[1] – الجهاد : حرب عشائر الأهواز العربية ضد الإنجليز في هجومهم على الأهواز سنة (١٣٣٣ هـ ق)
[1] – المنجور : مرتفعات صخرية غربي الأهواز، و فيها دفن شهداء حرب الجهاد.

فطريقُ الحقِّ صعبٌ، سُلَّمٌ نحو السماءْ
ليسَ يَرقاهُ إلى الآخِرِ، إلاّ الشهداءْ

* * *

قالَ «كشكولٌ»: و راحَ الركبُ يجتاز الجبال
و سياطُ الظُّلمِ تعلو متنَ ربّاتِ الحِجال

و وصلنا بعد شهرين إلى «خُرّم آبادْ»[2]
كلّ ما اجتزناهُ ثُلُثَ الدّربِ و الباقي وهادْ

إنّهُ دربٌ عسير وعره فاق الخيالْ
أهْلك النِّصفَ مِن الأسرى نساءً و رجالْ

أُهلكوا بالجوع و السوط و من بردٍ شديد
عدد الأسرى على ألفٍ ونصفٍ قد يزيد

---

[2] - خرّم آباد : إحدى مدن ايران تقع على بُعد ٥٠٠ كيلومتر شمالي الأهواز.

دُفنَ البعضُ و بعضٌ صار قوتاً للنسورْ
هكذا فعلُ رضاخانَ دمارُ و فُجورْ

(ركْب أشباح)

خرّم آباد طوتنا مثلما تُطوى الحِبال
ركبُ أشباحٍ عِجافٍ قد تغشّاها الهزال

و مع الفجر سياط الجند جَلداً أيقظتنا
أوسعتنا الضربَ طولَ الدّربِ حتى أنقضتنا

* * *

و أتَتنا الناسُ للفُرجةِ من أَقصى المدينةْ
أَشفقوا لمّا رأوا أَحوالنا، تلك المهينةْ

جعلوا يبكون مِن رفقٍ و إشفاقٍ علينا
سألوا عنا، و مِن أينَ، و ماذا قد جَنينا

قيل: إنَّا عَرَبٌ من جانبِ الأهواز جينا
لَمْ نُرِد غيرَ طريقِ الحقِّ و الإسلام دينا

بقي الناسُ حَيارى لا يحيرون جوابا
همهموا، أو دمدموا صاحوا و قد راحوا غِضابا:

إنَّه ظلمٌ جسيمٌ دونَهُ ظلْمُ التَتارْ
إن جَنى الآباءُ ذنباً، ما هو ذنبُ الصِّغارْ؟!

و علا صوتُ صُراخ الناس و اشتدَّ البكاءْ
عندما صاح المنادي: وا أُسارى «كربلاءْ»

و أنا لَمْ أَنسَ إذْ قاموا بجمع الصدقاتْ
كانَ أولى بي و قومي حينها طعم المماتْ

* * *

سكتَ الوالدُ آناً و بدا الحزنُ عليه
و أنا أحْسستُ عمقَ الحزنِ من رعش يديه

و قَرأتُ المحنةَ الكبرى بهذي القافلهْ
و أبي لم يَستْطع وصفاً لِهذي النازلهْ

و لذا مال على الطفلِ بعطفٍ و ابتسامْ
لَمْ يُفارق ثغرَه إلاّ لدى هذا المقام:

يا بُنيَّ الليلُ قد زالَ ومازال المقالْ
باقياً مِنه كثيرٌ شرحُه الآنَ مُحالْ

زوجتي قالت و قد هاجمَنا جيشُ النّعاس
هاتِ يا عمّي حديثاً، ليسَ بالدّرّ يُقاس

* * *

(الكوابيس)

إنّما نحن تَوَّهمنا بأنّا قد أُصبنا بالتباسْ
هكذا من يَدخل التيارَ يزدادُ ارتماسْ

و حسبنا أننا في ذلك الركب نسيرْ
و كأنّا قد قَبلنا الأسرَ في ذاك المصيرْ

إِننا فعلاً بمنفاي « بايذجَّ » نُقيمْ
و مررنا بجبالٍ و طريق كصراطٍ مستقيمْ

و خلدنا كلّنا للنومِ و النّومُ لباسْ
و أصاب العقلَ منّي هاجسٌ مثل المساسْ

و الكوابيسُ توالت تنهشُ الجسمَ المريضْ
و كأنيّ واحدٌ مِن ذلك الركْبِ المهيضْ

إنني أَحسستُ لَسعَ السَّوط فوقَ المتن نارا
و شَرار الغَضبِ المُحبطِ مِن عينيَّ طارا

و أتتني الضربَةُ الأخرى و ما أَوجعها
زوجتي هَبَّت و سَوطٌ موجعٌ أرجعها

و مضى يضربُها الجلادُ فوقَ المتن، آهِ،
مَتنُها العريان يا ويلي لماذا يا إلهي!

مَزّقَتْ أحجارُ هذا الدّرب مِنها قدميها
و لهذا اقتطعت أردانَ أثوابٍ عليها

و استشاطَت في عروقي نخوةٌ مثلَ الجنون
ثم أَجهَزتُ على الجلادِ أَسقيهِ المَنون

ثمَّ أحسستُ بنارٍ بينَ حَيزومي[1] و نحري
و انفجارٍ، و دمٍ يجري على صفحةِ صدري

رحتُ أنقضُّ عليه بأكفٍّ داميات
دَفَعَتْهُ رعشةُ الموتِ إلى الوادي فمات

و عَلَتْ أنفاسُ موتي و أنا أنزف روحي
و إذا ترَبيتِ كفٍّ بين صدري و جروحي![2]

أيقظتني زوجتي من وَهْمِ كابوسٍ مُريعْ
لَم يكن أصعبَ مما مَرّ بالرّكب الفضيع[3]

(قصة سلمان و سَلْمىٰ)

و جلا الصبحُ ظلامَ الليلِ و الليلُ طويلْ
و ظلامُ الدربِ مازال على الركب ثقيلْ

١- الحيزوم : وسط الصدر.
٢- ربَّت تربيتاً : الضرب بالكفّ بهدوءٍ علي الكتف لتنويم الطفل.
٣- هذه المشاهد و كثير من أمثالها حدثت في هذا التبعيد المخيف.

في صباحٍ غائمٍ من ليلةٍ مرّتْ طويلهْ
زوجتي قالت لنمضِ نحو غاباتٍ جميلهْ

و نزلنا بطنَ وادٍ فيه أشجارٌ ظليلهْ
و هضابٌ زاهياتٌ بين روضٍ و خَميلهْ

و جلسنا و عيونُ السُّحب تفترُ و تهمي
و أنا بين خيالي و كوابيسي و وهمي

رحتُ أمشي و الخيالات إلى الماضي رمتني
يا تُرى ما قصةُ الكابوس و السوط و متني

قصَّةُ الجنديّ و السوط و زوجي ثم قتلي
هذه القصة و الأحداث من أين أتتْ لي؟!

هي كالأشباح لاحت بين عقلي و خيالي
و خيوطٌ من نسيجِ الحبّ و الموت ببالي

وتذكرتُ «سُليمانَ و سُلْمى» إنها مأساةُ حُبٍّ
قصةٌ عاشت و ضاعت بين أحلامٍ و رعبٍ

* * *

عُدتُ أدراجي إلى الوالدِ يحكي لي الحكايهْ:
سيدي هَلْ لك عن «سلمى و سلمان» درايهْ ؟

فوجيءَ الوالدُ من لحني و من هذا السؤالْ
و بدا شيءٌ من الحُزنِ بعينيهِ و قالْ:

هذهِ قصّةُ حُبٍّ و شقاءٍ و مَنونْ
كُتِمَتْ ما بيننا سِرّاً و حفظاً للشؤونْ

و اسمُ «سلمانَ و سلمى» مستعارٌ ليس إلاّ
لا تحاولْ يا بنيْ لِلأصل تأويلاً و حَلاّ

قلتُ: ما الأمر و هل في هذه القصةِ شرٌّ
قال : في القصة شيءٌ لَمِنَ الشرِّ أَمَرُّ

قلتُ يا مولاي هيّجتَ جراحي و شجوني
حَبَّ لو تحكي لنا عن ذلك الحبِّ المَصونِ

آنَ أن نكتبَ للأَجيال عن هذي المآسي
ليرى العالَمُ مَنْ جارَ على أهلي و ناسي؟!

قال: حقّاً ما تبيّنتَ مِن الرأي السّديدْ
يا بُنيَّ اكْتُبْ كما أُملي، و قررْ ما تريدْ

هذه قصةُ سلمى و سليمان اسمعوها
وانظروا في طواياها و فحواها وعوها

* * *

(الحُب في الصِّغر)

منذ كانا في ربوعِ الأهل في عمر الزهورْ
مالت الروحُ إلى الروحِ كما تهوي الطيورْ

كان إحساساً غريباً تجتليهِ النظرات
تتبعُ النظرة آهات، و أخرى حسرات

إنَّه شيءٌ جميلٌ غامضٌ في الروح يسري
إنّه الحبُّ ولكن دونَ أن يدري و تد ري

لعبَ الحبُّ بقلبينِ صغيرين فهاما
و إذا النرجسُ ينقضُّ على القلبِ سهاما

بين خوفٍ و رجاءٍ و حنين و حياء
تعبر النظرةُ للنظرةِ خَجلى لِلّقاء

و التقى قلبان غَضّان عَنِ الناس بعيدا
و جرى الحبُّ إلى القلب وريداً فوَريدا

فيسيرانِ مع النهر و ما بين الحقول
و يطيران على الرَبوةِ، ما بين السهول

* * *

كَبُرَتْ سَلْمىٰ و سلمانُ، غدا صَبًّا رشيدا
حُبُّ سلمى كلَّ يوم فيه ينمو ليزيدا

ذاتَ يومٍ كان سلمان و سلمى سائرَين
في حقولِ القَمح و الحُبُّ بجُنحَي طائرين

و إذا صوتُ أَخي سلمان، دَوّى في التلال:
يا سليمانُ تعالا، يا سليمانُ تعالْ

قام سلمانُ، و سَلْمىٰ، بقيت لحظةَ رُعبِ
أوجَسَ القلب و قالتْ: سَترُكَ اللهمَّ ربِّ

* * *

(الأسر)

و رأى سلمانُ جيشاً مَدَّ في الأَحياء سورا
و عَثى في الناسِ جوراً و عُتوّاً و فجورا

و أتَتْ سلمى بقلبٍ خافقٍ في الجانحين
و إذا سلمانُ مثلَ القوم مغلولُ اليَدَين

و رأتْ أُسرتَها في الأَسر ما بين الجُموعْ
و نساءُ الحيِّ يلطمن و يذْرِفْنَ الدّموعْ

لحظة ثمَّ غدَتْ سلمى كطير في شباكْ
ليتها ماتت و لَمْ تنظرْ أباها في شراكْ

ذلك الليثُ الذي خاضَ ميادينَ الحروبْ
و هُو الطّودُ الذي ما هزّهُ خَطبُ الخُطوبْ

لَطَمتْ وجهاً و قالتْ: آه يا ذُلَّ النّسور
كيف يصطادون ليثاً في شباكٍ كالطيور

و مشت سلمى كغصنٍ جُذَّ من بُستانِهِ
أو غزالِ صيدَ، و اقتادوه مِن أقرانِهِ

* * *

(سلمى)

هذه «سلمى» التي كان الهوى من عاشقيها
تسرق النّسماتُ ليلاً لحظةً كي تلتقيها

و قدودُ القصبِ اليافع في أعوادِها
و نخيلات الرُّبى الخضراء ، مِن حُسّادِها

يتمنّى الوردُ أنْ تَلْمسَ خدَّيها يداهُ
عَلّهُ يزداد عطراً و احمراراً في رواه [1]

و عيونُ النرجس الباكي تحاكي مُقلَتَيها
ليت للنرجسِ لوناً مثلما في ناظريها

تَبْسُمُ الأزهارُ في البهجة من نظراتِها
و يَهُشُّ الحقلُ بالأفراحِ مِنْ خطراتِها [1]

و شبابُ الحَيّ مسكينٌ يرى منها خيالا
يتجلّى في الرُّؤى، نوراً و عطراً و جمالا

يتمنّي أنه يوماً على الدرب يراها
ليرى آيةَ حُسنٍ بارئُ الكون براها

---

[1] – الرواء : حسن المنظر – ماءالوجه .

[1] – يهش : يتبسم . الخطره : المرّة .

ليتَهُ يعرف من تهوى و ما كان هواها
فهي لغز من جمال و كمال في رؤاها

ربِّ سبحانك أبدعت من الغيب جمالا
ثم أُضْفَيْتَ على الحُسنِ وقاراً و كمالا

هيَ «سلمى» يا دُعاةَ الحبِّ في الحُسن أميرهْ
كيفَ يرضى الحبُّ و العرفانُ أنْ تمشي أسيرهْ؟!

* * *

تركت سلمى ديارَ العزِّ و انقادت ذليلهْ
بعدما كانت مُنى القلبِ و تمثالَ القبيلهْ

نظرت للدار و الحسرةُ في الروح العليلهْ
و تراءت ذكرياتُ الحبِّ في العينِ البَليلهْ

و مشى الرَّكبُ يجدُّ السيرَ ليلاً و نهارا
و إذا القومُ الأعزّاءُ أذِلّاءُ أَسارى

و بهِ سلمى و سلمان بعينَي ساهرين
يسرقان النظرةَ العَجلى بروحَي حائرين

و مشت سلمى تعين الناس في ذاك الطريق
و قلوبُ القوم شبَّت بضرامٍ كالحَريق

(عيونُ الذئب)

كان جنديٌّ من الحُرّاسِ في ذاك الفريقْ
لعِبت في رأسهِ شهوةُ حيوانٍ سحيقْ

تابعتْ سلمى عيونُ الذئبِ في خطواتِها
راح كالمسعورِ في التحديقِ في غفواتها

و مضى يَنتظرُ الغَفلةَ مِن سلمى الأسيرهْ
يُطْفئُ الشرَّ الذي في جَوفِه شبَّ سَعيرهْ

و بقلبِ الليلِ إذ لا صوتَ إلاّ للضوّاري
قام و انسلَّ إليها مثل ثعبانِ البراري

خَيَّمَ الذئبُ عليها و هي كالظّبي الجريح
أغمضَ الجفنَ على الجُرح على أن يستريحْ

وضَعَ اليُسرى على فوه سُليمى و انبرى
باليدِ اليُمنى يَلُفُّ الجسمَ منها في العَرا

و أتَتْهُ ضَرْبَةٌ من صخرةٍ في رأسِه
و هوى كالجِذع مَيتاً خِلتَهُ من أمْسِه

إنَّه سلمان ذو العزم و ذو البأس الشديد
كيف يَغفو جفنُه أو يأوي للنومِ الرَّغيد

(مقتل سلمان)

هبَّ جنديّ و في بارودهِ الموتُ و المُحَتَّم
صوَّبَ النارَ على صدر سُليمانَ و حَطّم

و رأتْ سلمى سُليمانَ على الأرض قتيلا
دَوّت الصرخةُ منها تملأُ الوادي طويلا

و هَوت فوقَ سُليمان و صاحت : يا غريب
ها أنا أصبحتُ كالثّكلى و قد راح الحبيب

واه يا سلمانُ يا فارسُ يا رمزَ القبيلهْ
يا سليلَ المَجد و العزّة يا تِربَ البُطولهْ

يا شهيداً كنتَ تجتازُ ميادينَ القتال
لتخوضَ الأرحبَ الأوسعَ مِنها للنّزال

هكذا رحتَ شهيداً لست في حربٍ ضَروس
أو قتالٍ تزهق الأرواح فيه و النفوس؟!

كَم تمثّلتُك في الهيجاءِ مِغواراً أغرّا
تقهر الأعداءُ يا سلمانُ في الميدان قهرا

ها هُمُ ساموا كبارَ القوم يا سلمان ذُلاّ
تركوا في القلب نيراناً و في الأعناقِ غُلاّ

قل لهم: أنتم عبيدُ الجاهِ و الأموالِ طُرّا
و أنا عشتُ على ظهر جوادِ البيد حُرّا

نحنُ في الأغلالِ أَحرارٌ و إنْ كُنّا أُسارى
و عبيدٌ أنتمُ ألبستمُ خزياً و عارا

و سنأتيكم غداً كي نُشْعلَ الهيجاءَ نارا
بشبابٍ يتهادون إلى الثّأر سُكارى

قل لهذا السّافلِ النّذلِ الذي مَزّق صدرك
إنني أخرقُ بالخنجرِ يا فاسقُ نَحركْ

(دفنُ الأُمنيات)

دفنوا سلمانَ و الحبَّ و كلَّ الأمنيات
بقيت سلْمى كتمثالِ و لا فيهِ حَياة

و مَشَت عينا سُلَيمى ترقُب القاتلَ سِرّا
إنّهُ الثّأرْ الذي في روحها لَنْ يَستقرّا

و أتت لحظتها و الرّكبُ جسمٌ هاجع
و وَميضُ النجم يُهديها إليهِ ساطِع

نظرتْ في صخرةٍ مُنحازةٍ بينَ الصخور
ثمَّ قالتَ مَزّقي يا منيتي رأسَ الفُجور

و هَوَت بالصخرة الكبرى على رأسِ الرّذيله
حطَّمتهُ و علا في هُوَّةِ الوادي عَويله

و أتى القائدُ و الجُندُ إلى الحادثِ حالا:
«كتِّفوها، أَحرقوها،» هكذا القائدُ قالا

* * *

(إعدام سلمى)

أوثقوا سلمى كتافاً، كتِّفوا جُنحَ الجمال
فهي سلمى خَصّها اللهُ بحُسنٍ و كمال

ومضَت سلمى تكيلُ اللّعنَ كيلاً للطُغاةْ:
لعْنةُ اللهِ عليكم يا عصابات الغُزاةْ

جئتمونا في أَراضينا كما يأتي التتارْ
و احتللتم أرضنا، جئتم إلينا بالدّمار

أمَرَ القائدُ أنْ تُلجَمَ سلمى بالقناعْ
عَصبوا عينَي سُليمى و إذا النرجسُ ضاعْ

فتحوا النار عليها، أعدموا سلمى الجميلهْ
أُذكروها ذكرَ خيرٍ إنها أَحلى قتيلهْ

* * *

(سقوط الركب)

عندما عُدنا إلى البيتِ مساءاً مُرهَقين
مِنْ مآسي قصةِ الحبِّ و موتِ العاشقين

بعد ساعاتٍ جلسنا و بنا شوقٌ كثير
لاستماعِ قصةِ الركب و إتمام المسير

*****

و مضي الوالدُ يروي قصةَ الركــب الجـسيمهْ:
قال كشكولُ العلي عن رحلــةِ المــوتِ الأَليمــهْ

قَــــذَفتنا خُــــرَّم آبـــادَ جلــوداً و عظامــــا
لَــمْ تجــدْ فينـــا حيـــاةً بعـــدما صِــرنا رُكامــا

ثــمَّ قادونـــا كمـــا تُحمَــلُ مــوتى للقبـــور
أينما سرنا نـــرى مـــن فوقِنـــا سِــربَ النّــسور

و مـــشينا ســـاحبي أشـــلاءِنا فـــوقَ الـــصخور
نُثــرتْ أَشــباه مــوتى فـــي شـــعابٍ و وعـــور

سقط الرّكبُ على الأرض جميعـــاً فـــي جمـــودِ
تَعبتْ من ضـــربنا أيـــدي الملاعـــينِ! الجنـــودِ!

يَـــئسَ القائـــدُ مِنّـــا فمـــضى نحـــو المدينـــهْ
و أتانـــــا بطعـــــامٍ و دوابٍ للظعينــــــهْ

هكــــذا أصـــبح ركـــبُ المـــوتِ حقـــاً رُكَّبـــا
بعـــدما ســـار علـــى الأقـــدامِ شـــهرينِ، كَبـــا

و سرى الرّكبُ و لا يدري إلـــى أيـــن المـــصير
ليجـــدَّ الـــسير يـــومينِ علـــى هـــذا المَـــسير

و وصــــلنا، لِ «بُروجِــــرْدَ»[1] و مــــا أَبردهــــا
و أداروَنـــــا ليـــــستَعْرضنا النـــــاسُ بهـــــا

إنهم يَبغون من عـــرضِ الأســـارى فـــي الـــبلاد
ســـطوةَ الإجـــرام للرُّعْـــبِ و تخويـــفِ العِبـــاد

[1]- بروجرد : مدينة تقع بين أراك و خرّم آباد. ٢- العنفوان:الصل حىه صغىره

عجبا أن يفخر الطاغوتُ في هذي التعاسَهْ
و يعدَّ القتلَ و السّبيَ رموزاً للسياسهْ

* * *

(إلى أين؟)

آه يا عنف الصّحارى كيف للذلّ انحنيت
عنفوانَ الرّمل يا سِيدَ الفلا ماذا جَنَيت

أنتَ لم تجنِ و لَم تبغ سِوى عِزِّ البقاءِ
هكذا يشقى الذي طابَ لهُ عِزُّ الإباءِ

إيهِ يا ركبَ المنايا فالمُنى طيفٌ لطيفْ
إنه حُلْمٌ جميلٌ حُفَّ بالخَطبِ المُخيفْ

يا سليلَ المَجدِ،كَمْ أنتَ صَبورٌ كالصّقورْ
يَقضِمُ الصّبرَ على قَهرٍ و إنْ ثارَ، يَثورْ

* * *

تركَ الرّكبُ بروجردَ مُصاباً بالذهولْ
لايرى للأسرِ مَدعاةً و لا فيه أصولْ

و إلامَ الرّكبُ يمشي في جبالٍ و وحولْ
و إلى أين يولّي و متى وقتُ الوصول؟!

(المقاومة)

و وصلنا «لأَراكَ» ما بنا أيُّ حِراكْ
وتوكّلنا و قلنا: يا إلهي، ما لنا عَونٌ سِواكْ

و غداً عند الصلاةِ، رغم إخطار الجُناةْ
إجتمعنا و دعونا الله في أولى صَلاةٌ

و استفاقَ المؤمنون، بعد رَيبٍ و مَنونْ
بعد أخذٍ و عطاءٍ، و إذا هُم مُجمِعونٌ:

إنّما الصبحُ قريبٌ و علينا الإعتصامٌ
سوف لن نبرحَ شبراً قطُّ من هذا المَقامٌ

و أتى القائدُ و الجُندُ يُثيرون العجاجْ:
فلماذا هذهِ الضجّةُ، ما هذا اللجاجْ؟!

قام شيخٌ من شيوخ الرّكب باللحن يقولٌ:
أقتلونا، قَطِّعونا، غيرأَنّا لن نَزولْ

أطلقَ القائدُ و الجُندُ عليهم نارَهُمْ
و أصابو من أَصابوا، ثمَّ نالوا عارَهمٌ

هُزِموا في الجولةِ الأولى مِن الركب الكظيمْ
ثمَّ راحوا يجمعونَ الرأيَ في الحَلِّ السَّليمٌ

* * *

(طريق الخلاص)

و رأى القائدُ في النوم كوابيسَ الضحايا
و رأى الموتى يُريدون به شرّ البلايا

قام مَدهوشاً من النومِ عَراهُ الإنهيارْ
و مضى في ذلك الليلِ يُريد الإنتحارْ

فأشار الجندُ أنْ يَبرُقَ «للشاهِ» الأثيم
ليرى ما رأيهُ في ذلك الخطبِ الجَسيم

كتبَ القائدُ: أنَّ الركبَ لا ينوي الرحيلْ
مُضرِبٌ يهتِفُ: أنَّ الموتَ أَولى بالذليلْ

فَلَكَ الأمرُ بإِرسال مُعدّاتٍ لنقلِ المُبعَدين
أوْ نُبيدُ الجمعَ رمْياً برصاصٍ لايَلين

و أتى الأَمرُ بإِرسالِ عَديدِ الشاحناتْ
تحملُ الأَسرى إلى طهرانَ في إحدى الجهاتْ

إنها ومضةُ إيمانٍ أتَتْ قلباً سقيمْ
إنَّه إِمدادُ غَيبٍ جاءَ مِن ربٍّ رحيمْ

* * *

تَعِبَ الوالدُ روحاً بعد أنْ طالَ المقال
في حديثٍ أشفقت من سمعهِ حتى الجبال

رحلةٌ أو محنةٌ هذي التي مَرّت علينا
و كأنّا نحن، في بحرٍ من الدمع سَرَينا

فدعونا نسترحْ قِسطاً و من ثمَّ نعودْ
قد سهرنا الليلَ يا سادةَ و الناس رقودٌ

* * *

(فى طهران)

و جلسنا ليلةً أخرى قلوباً سامعهْ
و عيوناً من حديثِ الأسر هذا دامعهْ

و استمرّ الوالدُ المَحزونُ للقصةِ يروي:
إسمحوا لي بحديثٍ هائلٍ للقلبِ يكوي

قال كشكولُ العلي، يرحمهُ اللهُ العلي:
كلُّ من يظلمهُ الناسُ لَهُ اللهُ ولي

و وصلنا «لِورَامينَ»[1] التي قيل لنا:
ههنا آخرُ مَنفاكم لتبقوا هيهُنا

و لكم في «دولت آبادَ» مَقرٌّ دائمٌ
و على أعناقِكم للشاهِ سَيفٌ قائمُ

لم نُصدِّقْ ما يقولونَ، و لا فرقَ لنا
عَوَّدونا لسَماعِ الكذبِ أصحابُ الخَنا

[1] – مدينة من ضواحي طهران .

و حَطَطنا الرّحلَ كالأكفان خلقانَ البِلى
و وقعنا فوقَها أنضاءَ شِلوٍ هُزّلا[1]

(اللقاءِ الحزين)

و غداةً جاءنا الحارسُ يبدو باسما
بعد أنْ كان عبوساً مُكفَهِراً دائما:

إستعدّوا أيّها الأسرى إلى يوم اللقاءْ
و مضى، لم ندرِ هل كان بشيراً أو بلاءْ

و ضحىً في دولت آباد علا صوتُ الصياحْ
إذْ بشيرٌ جاءَ من جانب أهلينا و لاحْ

كان قد أَبعدَهُم من قَبلِنا الشاهُ العنيدْ
من رؤوس القوم تسعون ذوو بأسٍ شديدْ

[1] – كجلود الموتى

آهِ ما أصعبها من لحظاتٍ قاتلهْ
بعد عامين فراقاً في خطوبٍ هائلهْ

إنّها لحظة حزنٍ و عزاءٍ و عويل
في افتقادِ الأهلِ موتاهُم على الدرب الطويل

و نصبنا مأتماً سرّاً لموتانا الكرامْ
شهداءٌ في سبيل الله من شَعبٍ مُضَام[1]

و بُكانا صارَ هَمساً و نشيجاً في شهيقْ
إنَّها مأساةُ قومٍ خَلَّفتْ جُرحاً عميقْ

* * *

[1] – مُضام : مظلوم .

(المُبعَدون التسعون يتحدثون)[1]

و اجتمعنا بعد حُزنٍ و أنينٍ و عناءْ
و سألنا: أين كنتم؟! كيف جئْتم للّقاءِ؟!

و هنا قال أبي و هو حسينُ بن عليّ
إنها قصةُ غولٍ و نسور و سبيّ

قد مررنا بشِعابٍ و صِعابٍ و هوان
إنها إجرام ظُلاّم و تصريف الزّمان

و أقمنا في قِلاعٍ عدةٍ بين الطريق
«فَلَكَ الأفلاك»[2] فيها يأكلُ الخلُّ الصديقْ

و هنا في وسْط طهران نزلنا سجنَ «قصرِ»[3]
إنّهُ دارُ هَوانٍ و معاناةٍ و قهرِ

[1] – كان رضاشاه أبعد تسعين شخصاً من رؤساء القبائل قبل تبعيد عوائلهم .
[2] – قلعة متروكة قرب خرّم آباد بين الأهواز و طهران .
[3] – سجن قصر : كان اصطبلاً في العصر القاجاري فصار سجناً في العصر البهلوي .

عجباً كيف يكون القصر سجناً للرجال
و هو للعيش و للّهو بربّاتِ الحِجال!

آه من أهل القصورِ، لعبوا عبر الدهور
كسروا الهمةَ و الهيْبة في جَنح الصقور

(الإعدامات)

بينما كنّا نقضّي الليل في بُؤْسٍ و تعسٍ
و إذا بالضجة الكبرى علت تنخرُ رأسي

و إذا الجند يسوقون رجالاً باحتقار
إنهم قادة قومٍ من رجال «البختيار»[1]

أوقفونا كلنا كي نشهد الاعدامَ عينا
إنهم يلقون بالتخويفِ و الرعبِ علينا

[1] - البختيار : قبائل تعيش في جبال لرستان إحدى مقاطعات ايران تقع بين الأهواز و طهران.

أعدموا جمع الخوانين برميٍ بالرصاص
هكذا فعل رضا شاه هلاكٌ و قصاص

لا قصاص الدين بل قص رقاب و جناح
لِشعوبٍ تطلبُ العزَّ مساءً و صباح

(إعدامنا)

أمرونا بعدَ يومينِ، استعدّوا، للرحيل
ثُمّ ساقونا إلى الإعدام في يومٍ طويل

و وقفنا و صدى الموتِ يُنادي خافتاً
كان وجهُ الموتِ في الميدان مسخاً باهتاً

فتَشهّدنا[1] و ملك الموتِ في فوه البنادق
ربَّنا تَعلمُ، لا ذنبَ لنا و الموتُ حادق

[1] - قراءة الشهادتين .

ربّنـــا أنـــت عزيـــزٌ فأردنـــا العـــيشَ عِـــزّا
إنَّ هـــذا الظّـــالمُ المُغتـــرّ بـــالعزةِ يهـــزا

وقـــفَ الجُنـــدُ يريـــدون مـــن الأمـــر إشـــارهْ
و إذا صوتُ رسولٍ جاءَ مـــن قـــصر الإمـــارهْ:

«سيدي هذا كتابٌ مـــن رضـــا شـــاه الكبيـــر!»
فَـــضّهُ القائـــدُ.... و انهـــالَ علينـــا بـــالزّفير:

لعنـــةُ اللهِ علـــيكم قَـــد نجَـــوتُم يـــا....!
أمَـــرَ الجُنـــدَ بـــأن نرجـــع للـــسجنِ نـــصير

و اسمعوا ما قالَهُ الشاهُ «رضا» عنـدَ الوصـــول
و اعرفوا ماذا بـــرأسِ الحَيّـــةِ الأفعـــى يجـــول

سألَ الـــشاهُ عـــن الركـــبِ و كَـــمْ مـــنهم هَلَـــكْ
قيـــلَ نـــصفٌ قـــال: «بَـــسْ»[١] ثـــمّ ضَـــحِكْ

* * *

فوصولُ الرّكـــبِ نَجّانـــا مـــن المـــوت الـــزّؤام
سَمحوا بالعيشِ بـــين الأهـــل نحيـــا فـــي وئـــام

* * *

(فى قلعة «جار دانكة» فى الرّى)

قـــال كـــشكولُ العلـــي يرحمـــهُ اللهُ العلـــيّ:
كـــلَّ مَـــنْ يظلمُـــهُ النـــاسُ لَـــهُ اللهُ و لـــيّ

[١]-كلمه بس في الغة العربية و الفارسية الدارجة تعني هذا العدد فقط و تعني كفي

نقلونا مِن وراميـنَ إلى أطراف «رَيّ»
و استقرّ الرّكبُ ركبُ الموتِ من أبناءِ طيّ

و بقينا نَمْضَغُ الظلمَ ثماني سنوات
و قلوبُ القومِ تهفو لِربوعٍ نائيات

كَثُرَ الشوقُ إلى الدّار وأضنانا الحنين:
أينَ أرضي، أَين داري، أين بستاني الثّمين

أينَ نخلاتي التي ربّيتُها من ماءِ عَين
ماءِ «كارونَ» و ماءِ الكرختينِ الرّافدين

أين أنتِ يا قُرانا، و ذُرانا، و هوانا
أين نلقى ذلك العَطف و ذَيّاك الحنانا

ذهب القوم كراراً لأُولي الأمر و قالوا:
قد مَلَلنا الأسر و الأهلون للأوطانِ مالوا

رفعَ المسؤول «للشاه» جميعَ الطلَبات
غَضِبَ الشاهُ و نادى يا لهذي العائلات

كان أولى بجنابي قتلُهُم في الطُّرقات
أبعدوهم، بَدّدوهم، فرِّقوهُم في جِهات

أبلِغوهم أوّلاً أن يستعدّوا للرجوع
نحوَ خوزستانَ للأوطان في تلك الربوع

بعد هذا أَركبوهم في قطارٍ أَبعدوهم للشمالْ
و اتركوهم لِيُبادوا و اتركوا عنّي المقالْ[1]

* * *

[1]- أنظر إلى هذه الأخلاق أَلاّ أخلاقية البهلويّة التي تركها ملوك ايران في النفوس... ألم يعلموا بهذا القول المأثور: «الناسُ على دين ملوكهم».

و فرحنا فرحةً جاءَت دموعاً و بكاء
لَم نعُد نعرف للأَفراحِ طعماً أو هَناء

ثمَّ بِعنا ما جَنيناهُ مدى هذي السنين
و بقينا باتجاه الدّار يوماً جالسين

عندما جيءَ بنا نحو محطّاتِ القطار
فرّقونا فدخلناهُ زَرافاتٍ و سار

و إذا يمشي بنا نحو طريقٍ للشمال
و علَت أصواتنا تهتفُ: يا أَهل الضّلال

ما أجابونا ولكن صَوّبوا فينا البنادق
منطقُ القوّةِ و الشرّ رصاصٌ و مشانق

فرّقونا بين «جُرجانَ» و أطرافِ الشمالْ
في خيامٍ نحن و الريحُ بها حَربٌ سِجالْ

و بقينا بِضعَ أعوامٍ بها نرجوا الخلاصْ
لا لذنبٍ ما نقاسي، يقتضي هذا القصاصْ

و دَعَونا اللهَ أن يكشفَ عنّا كُربةً
ثقلها زادَ على أيوّبَ فينا غُربةً

و عَملنا مثلما يعملُ في الحَقل العبيدْ
نطلب القوتَ ولكن أجرُنا كانَ زهيدْ

طالما باتت عيالاتٌ بلا زادٍ ليالْي
آهِ من ذُلِّ انكساري عندَ أهلي و عيالِي

* * *

لَمعَ البَرقُ بعينَي والدي لمح البصرْ
مثلما يلمعُ برقٌ في السما قبْلَ المطرْ

قال و البِشر بدا في ناظريهِ واضحا
خلتَهُ لَمعَ شعاعٍ لاح في وقت الضُّحى:

صدق القائل من أهلِ العقولِ القادرين
«قد يُصيبُ المرء نفعاً من مصاب الآخرين» [1]

قال كشكولُ العلي، يرحمهُ اللهُ العليّ:
كلُّ من يظلمهُ الناسُ لَهُ اللهُ وليّ

أَشعلَ الأَلمانُ حرباً هي حربٌ ثانيهْ
ضدَّ أوروبّا فكانت حربَ شرٍّ عاتيهْ

[1] – إشارة إلى البيت الذي سار شطره الأخير مثلاً يُضرب :
«كذا قضتِ الأيامُ ما بينَ أهلها   مصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائدُ»

دَخَلَتْ ايرانُ و الألمانُ في صفٍّ اتحاد
و بهذا عُرِّضت للشرِّ أكنافُ البلاد

هُزِمَ الألمانُ في الحرب و صار الإنشقاق
من فرنسا و بريطانيا و روسيا باتّفاق

دخَلَ الروسُ بإيرانَ شمالاً و استقرّوا
هربَ الناسُ من النار و للغابات فَرّوا

و بقينا وحدَنا حتّى أتى الرّوسُ إلينا
و شرحنا ما جرى من زُمرةِ الشاهِ علينا

صُعِقوا عمّا رَأوا بالعينِ أو ما سمعوا
من حديث الظلم و الإجرامِ قط لَم يقنعوا

أركبونا في قطارٍ و إلى طهرانَ سارْ
فوَجَدنا إنجليزاً في محطّاتِ القطارْ

و جرى بينهُما بعضُ حديثٍ و حِوارْ
و أخيراً أَبلغونا بنهاياتِ القرارْ:

إنكم من هذهِ اللحظةِ أحرارٌ كِرامْ
و لكم منا تحياتٌ و مِنّا الإحترامْ

و لَكُم أنْ ترجعوا أوطانَكم هذا النهارْ
وَلْيكُنْ يا أيّها القومُ غداً يومَ المَسارْ

فجزا اللهُ أناساً قيلَ عنهم كَفَرهْ
وكفانا شرّ أقوامٍ جُناةٍ فجرهْ

و وصلنا الأرضَ دارَ العِزِّ أهوازَ الحبيبةْ
و لثمنا تُربَها يا طيبَ أهوازَ و طيبهْ

